جامعة الشارقة
ملتقى المخترات

مجلة جامعة الشارقة

دورية علمية محكمة

للعلوم الشرعية والقانونية

المجلد 12 ، العدد 2

ربيع الأول 1437 هـ / ديسمبر 2015 م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات 1996-2320

الأسلوب الشرعي في نصيحة العلماء
(في ضوءِ القرآن والسنَّة)

أحمد عبد الكريم الكبيسي

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة

الشارقة - الإمارات العربية المتحدة

تاريخ الاستلام 2015-03-26 **تاريخ القبول 2015-07-09**

ملخص البحث

يهدف البحث إلى دراسة وتوضيح المنهج الشرعي في نصيحة العلماء وإبرازه على حقيقته وفق القرآن الكريم والسنَّة النَّبويَّة الصَّحيحة، وأقوال الربَّانيِّين من أهل العلم. والتنبيه على ما يترتب من تفريطٍ في عدم توقير أهل العلم والاستهزاء بهم، من نتائج عكسيَّةٍ تودي بالمسلمين وغيرهم إلى التهجم والتنطع عليهم وعدم احترامهم، بل الحط من هيبتهم. ومن ثمَّ كشف زيغ المتخبطين والجاهلين من المتطرِّفين وفضح أباطيلهم ولاسيِّما وهم يستندون إلى تأويلات تعسفيَّة وأقاويل وشواهد ضعيفة وفتاوى عاطفية ومواقف نفسيَّة ضد العلماء ودعوتهم، والرّجوع بهؤلاء إلى أصالة هذا الدِّين الحنيف ونقاوته.

مُقدِّمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحمَّداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديه، واقتفى أثره إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعد: فإنَّ وظيفة العلم أشرف الأعمال قدراً، وأسماها منزلةً، وأرحبها أُفقاً، وأثقلها تبعةً وأوثقها عهداً وأعظمها عند الله أجراً. وإنَّ العلماء هم ورثة الأنبياء، الآخذين بأهمِّ تكاليف النُّبوَّة وهي الدَّعوة إلى الله تعالى وتوجيه خلقه إليه وتزكيتهم بالعلم، وترويضهم على الحق؛ حتى يفهموه ويقبلوه ويعملوا به، ويعملوا له. وإنَّ الحديث عن نصيحة هؤلاء الأعلام لحلوٌ عذبٌ، وإنَّهم هم أهل النَّصيحة فهم أعلم بها من غيرهم؛ لأنَّهم أعرف النَّاس بقدرها.

وفي المقابل فإنَّ المؤمن ليتألم أشد الألم حين يرى الواقع الأليم الذي صار إليه حال المسلمين اليوم لاسيِّما وهو يسمع أهل العلم يُشتَمون ويُعابُ عليهم دون النَّظر إلى نصيحتهم، بل يُريدُ بذلك إشاعة الفاحشة، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ)[النور:19] ويزداد الأمر سوءاً بعد سوء، وليته من جهل، بل في ظلِّ انتشار العلم الشرعي ووسائل تحصيله وسهولة السؤال عمَّا يشكل على المرء في أمور دينه.

والنَّصيحة من الدِّين كما سمَّاها رسول الله صلى الله عليه وجعلها من حقوق المسلمين فيما بينهم وبين علمائهم، ولكن بسبب قلة الاتباع، وقلة العلم، يرى الواحد منَّا تجاوزات على حقوق ذوي العلم باسم النَّصيحة، ويشاهد فظاظة وغلظة وشططاً دونما مراعاة لأحكام النَّصيحة للنَّاس عامَّة والعلماء خاصَّة وكم من ناصح ألقى نصحه للعلماء بغير أدب ولا ملاطفة، فانقلب أمره من صورة النَّاصح إلى صورة الشامت المبغض المعادي الذي لا يرغب النَّاس في سماع كلامه، ولا الوقوف عند نصحه.

.. وانطلاقاً من هذا الشعور فقد رغبتُ في كتابة الأسلوب الشرعي في نصيحة العلماء من خلال بث علومهم ونشر مناقبهم، وتحسين الظنِّ بهم، وقبول ما رووه، وإجلالهم، وتوقيرهم، والوفاء بما يجب لهم على الكافة من الحقوق وكف الأذى – من الغيبة وغيرها- عنهم، والمحافظة على سمعتهم بين النَّاس كافة، وذلك محاولة تأصيليَّة لهذا الموضوع من القرآن الكريم والسنَّة النَّبويَّة.

هدف البحث: فمن خلال كتابتي لهذا البحث توخيتُ فيه تحقيقَ الأمور الآتية:

- توضيح المنهج الشرعي في نصيحة العلماء وإبرازه على حقيقته وفق القرآن الكريم والسنَّة الصَّحيحة، وأقوال الربَّانيِّين من أهل العلم.
- التنبيه على ما يترتب من تفريطٍ في عدم توقير العلماء والاستهزاء بعلومهم، والكفِّ عن نصحهم، من نتائج عكسيَّةٍ تودي بالمسلمين وغيرهم إلى التهجم والتنطع عليهم وعدم احترامهم، بل الحط من هيبتهم.
- كشف زيغ المتخبطين والجاهلين من المتطرِّفين وفضح أباطيلهم ولاسيِّما في هذا العصر، إذ يستندون اليوم إلى تأويلات تعسفيَّة وأقاويل وشواهد ضعيفة وفتاوى عاطفية ومواقف نفسيَّة ضد العلماء ودعوتهم، والرّجوع بهؤلاء إلى أصالة هذا الدِّين الحنيف ونقاوته.

أهمية البحث: وتكمن أهمية طرح هذا الموضوع في توحيد صفِّ المسلمين وانضوائهم تحت راية العلماء الربَّانيِّين والتأكيد على مدى نجاح نصحهم ؛ لأنَّ النُّصح من الدِّين فيجب حينئذٍ التمسُّك بهذا الدِّين ؛ لما له من مؤازرة العلماء ومناصرتهم والوقوف خلفهم، وتفنيد من يتجرَّأ عليهم فيُحاول تجريحهم وهم الذين أفنوا حياتهم في خدمة هذا الدِّين ممَّا سيُعين البحث - إن شاء الله تعالى- المسلمين على انتهاج الحق والتمسُّك بالكتاب والسنَّة والابتعاد عن طريق المبطلين من الجاهلين والمتطرِّفين ومن حذا حذوهم وسلك منهجهم الخاطئ.

سبب اختيار البحث: يعود سبب اختياري هذا البحث إلى أنَّ قضيَّة عدم إبداء النُّصح للعلماء ومحاولة التنقيص من قدرهم أصبحت قضيَّة خطيرة مزَّقت جسد الأمَّة الإسلاميَّة، فهي منبعٌ لكثير من الانحرافات العقائدية والسلوكيَّة والخلقية والنَّفسيَّة التي عانت منها الأمَّة المسلمة، فضلاً عن انتشارها وتسللها إلى مجتمعنا بفئاته وشرائحه المختلفة ما يحتم علينا أن تكون لنا وقفة مساهمة بكتابة مثل هذه البحوث التي تكشف مثل هذه القضايا الخطيرة. وكذلك خطورة من يتبنَّى ذلك إذ يُظهرون تمسُّكهم بالدِّين، ليوهموا عموم النَّاس، ومن لا فقه له بأنَّهم أحق من علماء الأمَّة بالدِّين وهم في الحقيقة على غير ذلك.

منهج البحث: اتبع الباحثُ المنهج الوصفي الاستنباطي بعد الاستقراء اللازم في التعرُّف على حقيقة الأسلوب المتفق مع الشريعة الإسلاميَّة في تقديم النُّصح المنضبط لعلماء الأمَّة الإسلاميَّة ومحاولة إبراز ذلك وفق الأدلة الصَّحيحة – قدر المستطاع - بكلِّ دقةٍ ووضوح.

خطـة البحـث: وقـد انتظمـت خطـة البحـث فـي سـتة محـاور يتقدَّمهـا مقدِّمـةٌ وتمهيـدٌ، ويقفوهـا خاتمـةٌ:

- وتشمل المقدِّمة التعريف بالبحث، وعلى النحو الآتي:
- تمهيد: ويتضمَّن: التعريف بمصطلح عنوان البحث:

  ـ تعريف النصيحة لغة واصطلاحاً

  ـ تعريف العالم لغة واصطلاحاً

  ـ النَّصيحة في القرآن والسنَّة

  ـ حقيقة النَّصيحة وحكمها
- المحور الأوَّل: نصيحة العلماء في تحسين الظنِّ بهم ونشر مناقبهم
- المحور الثاني: نصيحة العلماء في نشر دعوتهم وبثِّ علومهم
- المحور الثالث: نصيحة العلماء في الذبِّ عن هفواتهم وعدم الاعتقاد بعصمتهم.
- المحور الرَّابع: نصيحة العلماء في الأخذ عنهم وتحمُّل ما رووه.
- المحور الخامس: نصيحة العلماء في إكرامهم، وتنزيلهم منزلتهم المشروعة.
- المحور السَّادس: نصيحة العلماء في الوفاء والدعاء لهم.

.. وأخيـراً تبعـت هـذه المحـاور خاتمـةٌ ذكـرَ الباحـثُ فيهـا ملخَّـصَ مـا توصَّـلَ إليـه مـن نتائـج خـلال جولتـه لدراسـة هـذا الموضـوع.

تمهيد

جرت المنهجيَّة العلميَّة عند أهل الاختصاص من الباحثين أن يبدؤا التمهيد بتوضيح مفهوم ما يُريدون الكتابة والبحث فيه ومعناه من المصطلح للعلم أو الموضوع الذي يبحثون فيه.

- التعريف بالنَّصيحة: إذ تعرَّف عند أهل اللغة بأنَّها من: نَصَحَ الشيءُ، بمعنى: خَلَصَ. والنَّاصحُ: الخالص من العسل وغيره، وكل شيءٍ خَلَصَ فقد نَصَحَ. والنُّصْح: خلاف الغِشِّ، فنصحَ فلاناً: أرشده لما فيه صلاحه من دون غشه. والنَّصيحة: أصلٌ يدلُّ على ملائمةٍ بين شيئين وإصلاح لهما، فهي دعوة إلى الاستقامة.(1)

وعلى هذا فإنَّ النَّصيحة هي تخليص القول من الغش، قال الخطابي رحمه الله: « النَّصيحة كلمة جامعة معناها: حيازة الحظ للمنصوح له... وقيل: النَّصيحة مأخوذة من نصح الرَّجل ثوبه إذا خاطه، فشبهوا فعل النَّاصح فيما يتحرَّاه من صلاح المنصوح له بما يسده من خلل الثوب. وقيل: إنَّها مأخوذة من نصحت العسل إذا صفيته من الشمع. شبهوا تخليص القول من الغشِّ بتخليص العسل من الخلط ».(2)

وقال الرَّازي: « وأمَّا النَّصيحة فهو أنه يرغبه في الطاعة ويحذره عن المعصية، ويسعى في تقرير ذلك الترغيب والترهيب لأبلغ وجوه ».(3) وفي هذا التعريف إبراز جانب إيصال الخير إلى المنصوح، والحرص على ذلك حرصاً يبلغ منتهاه.

وقال ابن الصَّلاح: « النَّصيحة كلمةٌ جامعةٌ تتضمَّنُ قيام النَّاصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلاً ».(4) وفي هذا التعريف بيان لصورتي النُّصح: الإرادة والفعل.

وقال القرطبي: « النُّصح إخلاص النِّيَّة من شوائب الفساد في المعاملة بخلاف الغش ».(5) وهذا تصوير لعمل النَّاصح ودعوة له بالإخلاص وصفاء القلب من كلِّ فساد، فضلاً عن حب الخير للمنصوح له ما يحب النَّاصح لنفسه.

ويُستخلص من هذا أنَّه لا بد من الإخلاص لله تعالى ويقتضي انتهاج المنهج النَّبوي في النُّصح والتذكير، وإرادة الخير وتوخيه للمنصوح، وبذل الوسع في سبيل النَّصيحة ويشمل

(1) ينظر: الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية: مادة (نصح): 1/410 ؛ معجم مقاييس اللغة: مادة (نصح): 5/435؛ لسان العرب: مادة (نصح): 2/615.

(2) شرح النَّووي على صحيح مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج): 2/37.

(3) تفسير الرازي (مفاتح الغيب): 14/123.

(4) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم: 1/222.

(5) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): 7/234.

كل صور التعبير عن إرادة النُّصح عموماً.

تعريف العالم لغة: من عَلِم يَعْلَم عِلْماً، فهو عالمٌ. وقالوا: عَلاَّمةٌ عَلِيم وجَمْعهما عُلَماء.[1]

وفي الاصطلاح: هو مَنْ أدركَ الشيءَ على ما هو به، والجاهل نقيضه.[2] فهو من اتصف بالعلم: اليقين، يقال: علم يعلَم: إذا تيقَّن.[3]

والعالم الرباني: هو العالمُ المُعَلِّمُ الذي يفقه الناس بصغار العلوم قبل كبارها، كلًا حسب فهمه ومستواه.[4] وقد فسَّر ابن عباس – رضي الله عنهما – الرَّبانيَّ، بأنه الحكيم الفقيه، وأخذها سعيد بن جبير وغيره من التابعين، ويروى نحو ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه فيما أخرجه إبراهيم الحربي في غريبه بإسناد صحيح.[5] روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: ((الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل النَّجاة...)).[6]

ولمَّا مات عبدُ الله بن عباس رضي الله عنهما، قال عنه محمَّد ابن الحنفيَّة: (مات اليوم رباني هذه الأمَّة).[7]

قال الأصمعي والإسماعيلي: « الرَّبّاني نسبة إلى الربِّ، أي: الذي يقصد ما أمره الرب بقصده، من العلم والعمل ».[8]

وقال ابن الأعرابي: « لا يقال للعالِم ربانيٌّ حتَّى يكون عاملًا معلِّمًا ».[9]

وقال ثعلب: قيل للعلماء: الرَّبانيون ؛ لأنهم يربون العلم أي يقومون به، وزيدت الألف والنون للمبالغة.[10] والحاصل أنه اختلف في هذه النِّسبة، هل هي نسبة إلى الرَّبِّ أو

---

(1) المخصّص: 1/258.

(2) ينظر: التعريفات: ص199.

(3) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (شرح سنن النّسائي): 1/174.

(4) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (شرح سنن النّسائي): 1/174.

(5) ينظر: كوثر المعاني الدَّراري في كشف خبايا صحيح البخاري: 3/150 ؛ فتح المنان شرح وتحقيق كتاب الدارمي أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن المسمَّى بـ(المسند الجامع): 3/21.

(6) التوضيح لشرح الجامع الصَّحيح: 20/23 ؛ ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (شرح سنن النّسائي): 1/174.

(7) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (شرح سنن النّسائي): 175-1/174.

(8) كوثر المعاني الدَّراري في كشف خبايا صحيح البخاري: 3/150.

(9) التوضيح لشرح الجامع الصَّحيح: 3/329.

(10) كوثر المعاني الدَّراري في كشف خبايا صحيح البخاري: 3/150.

إلى التربية ؟ والتربية على هذا للعلم، وعلى ما حكاه البخاري لمتعلمه إذ قال رحمه الله: «ويقال الرَّباني الذي يُربِّي النَّاس بصغار العلم قبل كباره»[1][2]. والمراد بصغار العلم، ما وضح من مسائله، وبكباره ما دقَّ منها.[3]

حينئذٍ يجب ألا تنزل هذه الألقاب إلا على أهلها ومَنْ يستحقها مِنْ أئمَّة العلم الجهابذة، ومَنْ تمَّتْ الشهادة له من أهل العلم والبصيرة والتحقيق، وأمَّا تنزيلها على أناسٍ لم يبلغوا من العلم شأوه، بل هم مجاهيل غير معروفين، فهذا له أبعادٌ خطيرةٌ، إذْ فيه إضافةً لكونه تضييعٌ لحق العلماء، فهو خديعةٌ للأمَّة وتغريرٌ بها ؛ لأنَّ في إعطاء هذه الألقاب لمن لا يستحقها، فيه مفاسد كثيرةٌ، لما ينتج عن ذلك من آراء متطرِّفةٍ، وفتاوى غريبةٍ، مخالفةٍ للقرآن والسنَّة ونهج سلف الأمَّة وإجماعها. ولهذا فإنَّ مِنْ أعظم أسباب ما وقعت فيه الأمَّة - اليوم - من فتنٍ ومحنٍ، إنما هو نتيجة إعطاء هؤلاء- أعني غير المؤهلين علميًّا- ألقاباً لا يستحقونها وإنزالهم منازل هم في الحقيقة عن منأى باتصافهم بدلالاتها، ويصدق فيهم قوله تعالى: (وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا)[4].

المطلب الأول

النَّصيحة في القرآن الكريم والسنَّة النَّبوية

أولاً: القرآن الكريم: ذُكرَ لفظ النُّصح في القرآن الكريم في عدد من الآيات؛ معظمها على لسان أنبياء الله عليهم السلام، الذين هم أنصح الخلق وأخلصهم، والذين بذلوا جهدهم في نصح أقوامهم؛ فاستجاب لهم قلة، وخالفهم الأكثرون..

- قال الله تعالى على لسان نوح عليه السَّلام: (أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)[5]، والفرق هنا بين إبلاغ الرِّسالة وبين النَّصيحة هو أنَّ تبليغ الرِّسالة أن يعرِّفَهم جميعَ أوامر الله تعالى ونواهيه وجميع أنواع التكاليف التي أوجبها الله تعالى عليهم. وأمَّا النَّصيحة فهو أن يُرغِّبَهم في قبول تلك الأوامر والنَّواهي والعبادات ويحذرهم عقابه إن عصوه.[6]

(1) « أي بجزئياته قبل كلياته، وبفروعه قبل أصوله أو بمقدِّماته قبل مقاصده».الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: 2/31.

(2) صحيح البخاري: كتاب (العلم)، باب (العلم قبل القول والعمل): 1/24.

(3) كوثر المعاني الدَّراري في كشف خبايا صحيح البخاري: 3/150.

(4) سورة آل عمران: 188.

(5) سورة الأعراف: 62.

(6) لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن): 2/215.

- وقال تعالى على لسان هود عليه السلام: (أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ)[1]، فيما سبق حكى الله تعالى عن نوح عليه السلام أنه قال: (وَأَنْصَحُ لَكُمْ)، وحكى عن هود عليه السلام أنه قال: (وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ)، فالأول بصيغة الفعل والثاني بصيغة اسم الفاعل والفرق بينهما أنَّ صيغة الفعل تدل على تجدد النُّصح ساعة بعد ساعة فكان نوح يدعو قومه ليلًا ونهارًا كما أخبر الله عنه بقوله: (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا)[2]، فلما كان ذلك من عادته ذكره بصيغة الفعل فقال: (وَأَنْصَحُ لَكُمْ) وأمَّا هود فلم يكن كذلك بل كان يدعوهم وقتًا دون وقت فلهذا قال: (وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ)، والمدح للنَّفس بأعظم صفات المدح غير لائق بالعقلاء وإنما فعل هود ذلك وقال هذا القول ؛ لأنه كان يجب عليه إعلام قومه بذلك، ومقصوده الرد عليهم في قولهم: (وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) فوصف نفسه بالأمانة وأنه أمين في تبليغ ما أرسل به من عند الله ففيه تقرير للرسالة والنبوة وفيه دليل على جواز مدح الإنسان نفسه في موضع الضرورة إلى مدحها.[3]

- وقال تعالى على لسان صالح عليه السَّلام بعد إهلاك قومه: (فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لاَ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ)[4].. وهكذا نجد أنَّ إسداء النُّصح إلى الخلق كان شعار الأنبياء والمرسلين واحدا بعد الآخر، وأنهم بذلوا كل المستطاع، بل ما فوق المستطاع، في سبيل هداية الخلق إلى الله وإلى صراطه المستقيم، ولم تزل النَّصيحة دينًا متَّبعًا وسنَّةً متوارثة، إلى أن أنزل الله الوحي على رسوله الكريم، فجدد الأمر بها، وأكدها الذكر الحكيم، وفرض الإسلام بمقتضى نصوص القرآن الكريم والسنَّة النبوية تبادل النُّصح والإرشاد في شؤون الدين والدنيا على الراعي والرعية. لكنَّ النَّصيحة لا تعد نصيحة في الإسلام إلا إذا كانت خالية من كل غش أو تدليس أو خيانة، وخالصة من جميع الأغراض الشخصية.[5]

- وقال تعالى على لسان شعيب عليه السَّلام بعد إهلاك قومه: (فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ)[6]، وهنا أعرض

(1) سورة الأعراف: 68.

(2) سورة نوح: 5.

(3) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: 2/216 – 217.

(4) سورة الأعراف: 79.

(5) ينظر: التيسير في أحاديث التفسير: 2/246.

(6) سورة الأعراف: 93.

شعيب وابتعد عن قومه حين رأى الهلاك الذي نزل بهم، إذ قال معتذرًا عن عدم حزنه عليهم وأسفه على ما حلَّ بهم، ومتبرئًا من ظلمهم يا قوم والله: لقد اجتهدتُ في إبلاغكم رسالات الله الذي خلقني وربائي وبيَّنتُ لكم ما فيها من سعادة دنياكم وأُخرا كم، وبذلتُ وسعي في توضيح طريقي الخير والشر فلم تستجيبوا لي - وكان الواجب أن تسمعوا قولي وتقبلوا نصحي. فحقَّت عليكم كلمة العذاب - بما قدمتم.[1]

- وقال تعالى في موضع آخر عن أصحاب الأعذار الذين تخلَّفوا عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، وقد عذرهم الله تعالى فقال: (لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[2]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره: « فليس على هؤلاء حَرَج إذا قعدوا ونصحوا في حال قعودهم، ولم يُرجفوا بالناس، ولم يُثَبِّطوهم، وهم محسنون في حالهم هذا ».[3]

ثانيًا: السنَّة النَّبويَّة: وأمَّا النَّصيحة في سنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلَّم فعن تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، قال: « الدِّينُ النَّصِيحَةُ » قُلْنَا: لِمَنْ ؟ قَالَ: « لِلَّهِ[4]

(1) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: 3/1473. (بتصرف يسير)

(2) سورة التوبة: 91.

(3) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: 4/198.

(4) النَّصيحة لله تعالى: معناها منصرف إلى الإيمان به، ونفى الشرك عنه وترك الإلحاد في صفاته، ووصفه سبحانه وتعالى بصفات الجلال والكمال وتنزيهه عن النَّقائص والقيام بطاعته واجتناب معصيته وموالاة من أطاعه ومعاداة من عصاه، والاعتراف بنعمته وشكره عليها والإخلاص في جميع الأمور، والدعاء إلى جميع هذِه الأوصاف، وحثِّ الناس عليها، والتلطف في جمعهم وإرشادهم إليها. ينظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: 1/217 ؛ التوضيح لشرح الجامع الصحيح: 3/242.
قال الخطابي: « وحقيقة هذه الإضافة راجعة إلى العبد في نصيحة نفسه لله، والله غنيٌّ عن نصح كلِّ ناصح ».
مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: 7/3111 ؛ دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: 2/461.

وَلِكِتَابِهِ[1] وَلِرَسُولِهِ[2] وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ[3] وَعَامَّتِهِمْ[4] ».[5] وقد اعتنى الشُّراح بهذا الحديث أَيَّما عنايةٍ، إذ هو من الأَحَادِيث الَّتِي قيل فيها: إِنَّهَا أَحَد أَرْبَاع الدِّين، وممَّن عَدَّهُ فيها الإمام محمَّد بن أَسْلَمَ الطُّوسِيُّ رحمه الله[6].

قال الإمام النَّووي رحمه الله: « بل هو وحده مُحَصِّلٌ لغرض الدِّين كُلِّه ».[7]

---

(1) وأمَّا النَّصيحة لكتابه سبحانه وتعالى: فبالإيمان أنه كلام الله تعالى وتنزيله، لا يشبهه شيء من كلام الخلق، ولا يقدر على مثله أحد من المخلوقات، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته، وتحسينها والخشوع عندها، وإقامة حروفه في التلاوة، والذب عنه لتأويل المحرفين وطعن الطاعنين، والتصديق بما فيه والوقوف مع أحكامه وتفهم علومه وأمثاله، والاعتبار بمواضعه والتفكر في عجائبه، والعمل بمحكمه، والتسليم لمتشابهه، والبحث عن عمومه، والدعاء إليه. ينظر: شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية: ص51 ؛ الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج: 1/76.

(2) وأمَّا النَّصيحة لرسوله: فبالتصديق بنبوَّته، وطاعته فيما أمر به ونهى عنه ونصرته حياً ومَيِّتًا، ومعاداة من عاداه، ومحاربة من حاربه، وبذل النفوس والأموال دونه في حياته، وإحياء سنَّته بعد موته بالبحث عنها، والتفقه فيها، والذب عنها، ونشرها، والدعاء إليه، والتخلق بأخلاقه الكريمة، والتأدب بآدابه الجميلة، وتوقيره، وتعظيمه، ومحبة آل بيته، وأصحابه، ومجانبة من ابتدع في سُنَّتِه . شرح صحيح مسلم للقاضي عياض، المسمَّى (إكمال المُعْلِم بفوائد مُسْلِم): 1/307.

(3) ونصيحة الأئمَّة: أن يطيعهم في الحق، ولا يرى الخروج عليهم إذا جاروا، وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم لما غفلوا عنه أو لم يبلغهم من حقوق المسلمين، وتأليف قلوب الناس لطاعتهم، والدعاء لهم بالتوفيق والصَّلاح، والصَّلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصَّدقات إليهم. هذا على المشهور من أنَّ المراد بالأئمَّة أصحاب الحكومة كالخلفاء والولاة. وقد يؤول بعلماء الدِّين ونصيحتهم قبول ما رووه وتقليدهم في الأحكام وإحسان الظنِّ بهم. ينظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن): 10/3183؛ فيض القدير: 2/415؛ فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب رحمهما الله: ص45.

(4) ونصيحة عامَّة المسلمين: يكون بإرشادهم إلى مصالحهم الدينية والدنيوية، وكفِّ الأذى عنهم، وتعليمهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، ويعينهم عليه قولا أو فعلا وستر عوراتهم وسد خلاتهم، ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق كبيرهم ورحمة صغيرهم، وتخولهم بالموعظة الحسنة وترك غيبتهم وحسدهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير، ويكره لهم ما يكره لنفسه، والذب عن أموالهم وأعراضهم وغير ذلك من أحوالهم. ويسعى في ذلك بحسب الإمكان، فإنَّ من أحبَّ شيئاً سَعَى له، واجتهدَ في تحقيقه وتكميله. ينظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن): 10/3183؛ بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار: ص20.

(5) صحيح مسلم: مقدمة الإمام مسلم رحمه الله، باب (بيان أن الدين النصيحة)، رقم الحديث (55): 1/74.

(6) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم: 1/216.

(7) أورده الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه على صحيح البخاري (فتح الباري): 1/138.

ومعنى الحديث « عماد الدين وقوامه: النَّصيحة، كقوله: الحج عرفة - أي عماده ومعظمه عرفه - ».[1]

- وفي الصَّحيحين[2] عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: « بَايَعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ - فَلَقَّنَنِي - فِيمَا اسْتَطَعْتُ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ ».

زاد الطبراني في معجمه[3]: (فَكَانَ إِذَا اشْتَرَى شَيْئًا أَوْ بَاعَهُ قَالَ لِصَاحِبِهِ: اعْلَمْ أَنَّ مَا آخُذُ مِنْكَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا أَعْطَيْنَاكَ فَاخْتَرْ). وقد اشتُهِرَ عنه رضي الله عنه شدة نصحه للمسلمين ؛ حرصاً منه على تطبيق هذه الوصية، والوفاء بهذه البيعة.

- وفي صحيح مسلم[4] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: « حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ ». قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ: « إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ ». ومعنى « وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ » أي طلب منك النَّصيحة في أيِّ أمر. « فَانْصَحْ لَهُ » باذلًا الجهد غير غاش له ولا ينبغي أن يشير إلا بعد طلب الرَّأي منه فلا تتبرع به.[5]

- وفي الأدب المفرد[6] عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثاً، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثاً، يَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ »... وهكذا كان حال جميع الصَّحابة الكرام في نصحهم للمسلمين، وتناصحهم فيما بينهم، وطلبهم للنُّصح. وأَنْصَحَهم كان أبو بكر رضي الله عنه، فقد قال ابن علية في قول أبي بكر المزني ما فاق أبو بكر رضي الله عنه أصحاب مُحمَّد صلى الله عليه وسلم بصوم ولا صلاة ولكن بشيء كان في قلبه

(1) شرح النووي على صحيح مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج): 2/37. وينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: 1/115.

(2) صحيح البخاري: كتاب (الأحكام)، باب (كيف يبايع الإمام الناس)، رقم الحديث (6778): 6/2634؛ صحيح مسلم: كتاب (الإيمان)، باب (بيان أن الدين النَّصيحة)، برقم (56): 1/75.

(3) المعجم الكبير: رقم الحديث (2414): 2/338.

(4) صحيح مسلم: كتاب (السَّلام)، باب (من حق المسلم للمسلم رد السَّلام)، رقم الحديث (2162): 4/1705.

(5) التنوير شرح الجامع الصَّغير: 5/364.

(6) الأدب المفرد، للبخاري: باب (السَّرف في المال)، رقم الحديث (442): 1/158. وقال عنه الألباني: (صحيح).

قال: (الذي كان في قلبه الحب لله عزَّ وجل والنَّصيحة في خلقه).[1]

- قال الفضيل بن عياض: « ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة الصَّلاة والصِّيام وإنما أدرك عندنا بسخاء الأنفس وسلامة الصدور والنُّصح للأمَّة ».[2]

- وقال أيضًا رحمه الله: « المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعير ».[3]

- وقال الحسن البصري رحمه الله: « إنك لن تبلغ حقَّ نصيحتك لأخيك، حتى تأمره بما تعجز عنه ».[4]

- وسُئِلَ ابن المبارك أي الأعمال أفضل ؟ قال: « النُّصح لله ».[5]

- وقال معمر رحمه الله: « كان يقال: أنصح الناس لك من خاف الله فيك. وكان السَّلف إذا أرادوا نصيحة أحد، وعظوه سرًّا حتى قال بعضهم: من وعظ أخاه فيما بينه وبينه، فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبَّخه ».[6]

ثالثًا: حقيقة النَّصيحة وحكمها: وعلى وفق ما تقدَّمَ فإنَّ النَّصيحة هي تكميل نقص في حق الخلق الذين يُصيبهم النَّقص وتقع منهم الأخطاء والذنوب، ويُتصور منهم التقصير، وهذا في حق العباد. أو هي وصفٌ بالكمال وهذا في حق الله تبارك وتعالى، وفي حق كتابه الكريم، وفي حق المعصوم رسول الله صلى الله عليه وسلم.[7]

وأمَّا عن حكم النَّصيحة: فإنَّها واجبة وإن لم يُسألها، وقد قال بعض العلماء وجوب النُّصح يتوقف على السُّؤال لقوله صلى الله عليه وسلم في حق المسلم على المسلم: « إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ... ».[8] ووجوبها آكد من ولاة الأمر - علماء وحكَّام- نحو رعاياهم؛ لما صحَّ عنه صلى الله عليه وسلم: « مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لاَ يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ إِلاَّ لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ ».[9]

(1) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم: 1/225.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه.

(4) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم: 1/225.

(5) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم: 1/225.

(6) المصدر نفسه.

(7) فقه النَّصيحة: ص2.

(8) صحيح مسلم: كتاب (السَّلام)، باب (من حق المسلم للمسلم رد السلام)، رقم الحديث (2162): 4/1704.

(9) صحيح مسلم: كتاب (الإمارة)، باب (فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن

فيجب حينئذٍ إسداء النَّصيحة لكلِّ مسلم حسب الطاقة، قال ابن بطال: « والنَّصيحة لازمة على قدر الطاقة إذا علم النَّاصح أنَّه يُقبلُ نصحه ويُطاع أمره وأمن على نفسه المكروه، فإن خشي على نفسه أذىً فهو في سعةٍ، والله أعلم ».[1] شريطة مراعاة الحكمة والموعظة الحسنة والرِّفق والتلطف، إذ إنَّ حاجة المسلمين للمناصحة أشد الحاجة من أيِّ شيءٍ.

وذكر بعض العلماء أنَّ النَّصيحة هي فرض كفاية، قال ابن بطال: « والنَّصيحة فرضٌ يجزي فيه مَنْ قام به ويسقط عن الباقين ».[2] بينما ذهب غيره إلى أنَّ النَّصيحة قد تكون فرضاً، وقد تكون نافلة، قال ابن رجب الحنبلي: « فالنَّصيحة المفترضة لله هي شدة العناية من النَّاصح باتباع محبة الله في أداء ما افترض ومجانبة ما حرم. وأمَّا النَّصيحة التي هي نافلة فهي إيثار محبته على محبة نفسه وذلك أن يعرض له أمران أحدهما: لنفسه، والآخر: لربه فيبدأ بما كان لربه ويؤخر ما كان لنفسه ».[3]

المطلب الثاني

الأسلوب الشرعي في نصيحة العلماء

إنَّ حقَّ المسلم على المسلم عظيم، وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ العلماء في طليعة من تجب لهم الحقوق، لتحلِّيهم بالعلم والفضل، ولتحمّلهم في صيانة الشريعة الإسلامية وتعزيزها، فهم صَمَّام الأمان للأمَّة بكل طبقاتها، إذْ بهم تحيى السنن، ويتبصَّر الناس بأمور دينهم، وتتحقَّق المصالح العظيمة للعباد.. وهنا سأعرِّجُ بالأساليب المشروعة في كيفيَّة نصحهم كأهمِّ الحقوق لهم، وذلك من خلال المحاور الآتية..

المحور الأوَّل

نصيحة العلماء في تحسين الظنِّ بهم، ونشر مناقبهم

إنَّ ممَّا يجب أن يُعْتَقَدَ في حقِّ علماء الأمَّة والاختلاف الذي يحصلُ بينهم، أن نحملَهُ مَحْمَل الظنِّ الحسن بهم كافة إذ إنَّ سنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلَّم لا يُقال إنَّه استوعبها أحدٌ من النَّاس، أو إنَّه يُمكنُ أن يستوعبها شخصٌ من النَّاس بحيث لا يفوت عليه منها شيءٌ فإنَّ هذا غير ممكن وغير حاصل وذلك أنَّ الرَّسولَ صلى الله عليه وسلَّم كان يُحَدّث في

إدخال المشقة عليهم)، رقم الحديث (142): 3/1459.

(1) شرح النووي على صحيح مسلم: 2/39. وينظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن): 10/3184.

(2) شرح النووي على صحيح مسلم: 2/39.

(3) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم: 1/220.

بعض المجالس أحاديث يغيب عنها من يغيب ويحضرها من يحضر ويتحمَّلها من يحضر ثمَّ تخفى على من لم يحضرها ولم تبلغه.

ومن هنا يجب نصحنا لهم من خلال ذكرهم بالخير والثناء عليهم وحمل ما يأتي منهم على أحسن المحامل واعتقاد أنهم بشر يخطئون ويصيبون، وأن من أصاب منهم فله أجران ومن أخطأ منهم فله أجر واحد وخطؤه مغفور، هذا هو الذي يجب في حقهم ولا يُتكلم فيهم إلا بالخير، لا يتكلم فيهم بغير ذلك؛ لأن من تكلم فيهم بغير ذلك إذا كان على سبيل الإضرار أو على سبيل الحط من شأنهم فإن هذا لا يضر المتكلم إلا نفسه، أما إذا كان الكلام فيما يتعلق ببيان أحول العلماء وأحوال الرواة من الثقة والعدالة ومن الصدق وغير ذلك من الصفات، فإن هذا أمر لابد منه، قد سلكه سلف هذه الأمَّة ؛ وذلك لأنَّ من أسباب الابتعاد والجفاء عن أهل العلم هو مردهما إلى سوء الظن وانعدام الثقة بهم فإذا حَسَّنَ أحدنا ظنَّه بأهل العلم وحكم عليهم بما يظهر منهم، زالت كثير من تلك العوائق واطمأنَّت النفوس وطاب المجتمع.

ولا يخفى على كل مسلم، أنَّ هذا الدِّين العظيم، قام على أسس وقواعد عظيمة ومهمة في سعادة البشرية لا بد أن تكون حاضرة في الأذهان، هي مقاصد الشريعة الربانية ومنها: حماية العرض فالأعراض محمية بسدٍّ منيع، فلا يرتقى هذا السَّد ولا يقبل الرقي، إلا بضوابط شرعية ثابتة من الله تعالى بعيداً عن الأوهام والظنون.

وقد تواردت نصوص الوحيين داعيةً إلى حماية عرض المسلم، ناهيةً محذِّرةً من النَّيل منه أو الوقوع في حماه؛ لأنَّ النَّيل من الآدمي هتك لعرضه، وهذه الحصَانة العظيمة لأعراض المسلمين من أصول الاعتقاد في الإسلام وهي في حق عامَّة المسلمين، ثمَّ ولاة أمرهم، من علماء وأمراء، ثمَّ الصَّحابة رضي الله عنهم، ثمَّ أسماهم منزلة وفضلاً: أنبياء الله ورسله عليهم الصَّلاة والسَّلام وفى مقدِّمتهم خاتمهم نبينا ورسولنا مُحمَّد صلى الله عليه وسلم فمن أساء الظنَّ بعلماء المسلمين جرَّ ذلك إلى سبِّهم، ومن سبّهم دعاه إلى سب خيارهم: صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا توعَّد الله تعالى بمن يتجرَّأ على ذلك بقوله: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ)[4] وهذا تأديب لمن يسمع شيئاً من الكلام السيَّئ، فقام بذهنه منه شيء وتكلم به، فيُكثر منه ويشيعه ويذيعه، بل يختار ظهور الكلام عنهم بالقبيح (وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) فردوا الأمور إليه تَرْشُدُوا [5]، فعن ثوبان رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلى اللَّه عليه وسلم قال: « لاَ تُؤْذُوا عِبَادَ اللهِ، وَلاَ تُعَيِّرُوهُمْ، وَلاَ تَطْلُبُوا عَوْرَاتِهِمْ ؛

(4) سورة النور: 19.

(5) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: 6/29.

فَإِنَّـهُ مَـنْ طَلَـبَ عَـوْرَةَ أَخِيـهِ الْمُسْـلِمِ طَلَـبَ اللَّهُ عَوْرَتَـهُ حَتَّـى يَفْضَحَـهُ فِـي بَيْتِـهِ ».[1] وقـال تعالـى: (وَالَّذِيـنَ يُـؤْذُونَ الْمُؤْمِنِيـنَ وَالْمُؤْمِنَـاتِ بِغَيْـرِ مَـا اكْتَسَـبُوا فَقَـدِ احْتَمَلُـوا بُهْتَانًـا وَإِثْمًـا مُبِينًـا)[2] أي: ينسـبون إليهـم - وفـي مقدمتهـم العلمـاء- مـا هـم بُـرَآء منـه لـم يعملـوه ولـم يفعلـوه (فَقَـدِ احْتَمَلُـوا بُهْتَانًـا وَإِثْمًـا مُبِينًـا) وهـذا هـو البهـت البيِّـن أن يحكـى أو ينقـل عـن المؤمنيـن والمؤمنـات مـا لـم يفعلـوه، علـى سـبيل العيـب والتنقـص لهـم.[3]

فالذيـن يُنصِّبـون أنفسـهم مقـام الحكـم علـى النـاس وأخـذوا فـي التصنيـف والتجريـح ولاسـيِّما علـى العلمـاء، هـلا تثبَّتـم فـي الأخبـار وتورَّعتـم فـي طلـق الأحـكام: (أَيُحِـبُّ أَحَدُكُـمْ أَن يَـأْكُلَ لَحْـمَ أَخِيـهِ مَيْتًـا فَكَرِهْتُمُـوهُ)[4] وهـذا ممَّـا يُبيِّـنُ حرمـة المسـلم عنـد التحقيـق مـن الخبـر فكيـف بسـوء الظـنِّ !! وعـن عمـر بـن الخطـاب رضـي الله عنـه أنَّـه قـال: (وَلا تَظُـنَّ بِكَلِمَـةٍ خَرَجَـتْ مِـنْ مُسْـلِمٍ شَـرًّا وَأَنْـتَ تَجِـدُ لَهَـا مَحْمَـلاً).[5]

وهـذه نصـوصٌ تقيـم مبدئًـا فـي التعامـل بيـن النـاس وسـياجاً حـول حقوقهـم، فـلا يؤخـذون بالظـنِّ ولا يحاكمـون بريبـة، ولا يصبـح الظـن أساسـاً لمحاكمتهـم، بـل لا يصـح أن يكـون أساسـاً للتحقيـق مـع العلمـاء ولا للتحقيـق حولهـم. ومعنـى هـذا أن يظـل العالـم بريئـاً، مصـون حقـه، حتـى يتبيِّـنَ بوضـوح أنَّـه ارتكـب مـا يؤخـذُ عليـه. وهـذا فيـه حسـن ظـنٍّ لأهـل العلـم، وعـدم انتهـاك أعراضهـم. فالعالـم علـى ظاهـره وليـس لأحـد أن يتعقـب باطنـه بـل ليـس لأحـدٍ أن يظـنَّ أو يتوقـع، أو حتـى يعـرف أنـه يُـزاول فـي الخفـاء، فليـس مـن حـق عامَّـة النَّـاس الولـوغ فـي مآخـذ أو عمـل العلمـاء بمخالفـة الشـرع، وكثـرة الظنـون السـيئة.

وإنَّ مـا قـد يقـع مـن بعـض الدُّعـاة إلـى الله تعالـى، وطلبـة العلـم مـن إسـاءة الظـنِّ ببعـض علمـاء الأمَّـة نتيجـة لتصـرُّف مـا صـدرَ مـن ذلـك العالـم وقـد يكـون ذلـك العالـم مصيبـاً فـي تصرُّفـه أو علـى الأقـل حسـن القصـد فيـه لهـو خطـأٌ جسـيمٌ، فكيـف إذا وصـلَ الحـدُّ إلـى أن يُتهـمَ فـي قصْـدهِ ونيِّتـهِ ؟! ثـمَّ هـب أنَّـه جـازَ للإنسـان القـدح فـي إرادة مَـن دلَّـت القرائـن والعلامـات علـى قصْـده السَّـيِّء أفيحـلُّ - فيمـا عنـدك مـن الأدلـة الكثيـرة علـى حسـن قصْـده وبعـده عـن إرادة السُّـوء- أن تتوهـم فيـه شـيئاً ممَّـا رميتـه بـه ؟! وأنَّ الله تعالـى أمـر المؤمنيـن أن يظنُّـوا بإخوانهـم خيـراً إذا قيـلَ فيـه خـلاف مـا يقتضيـه الإيمـان، قـال تعالـى: (لَـوْلا إِذْ سَـمِعْتُمُوهُ ظَـنَّ الْمُؤْمِنُـونَ

(1) مسند أحمد: رقم الحديث (22455): 5/279. وقال عنه الشيخ الأرنؤوط: (صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن).

(2) سورة الأحزاب: 58.

(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: 6/480.

(4) سورة الحجرات: 12.

(5) الأربعين في إرشاد السائرين إلى منازل المتقين أو الأربعين الطائية: ص151.

وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ)[1].[2] « ظنَّ المؤمنون بعضهم ببعض خيراً، وهو السَّلامة ممَّا رموا به، وأنَّ ما معهم من الإيمان المعلوم، يدفع ما قيل فيهم من الإفك الباطل ».[3]

وأمَّا عن نصيحتهم من حيث نشر مناقبهم فمن الواجب علينا توقيرهم، واحترامهم والتواضع لهم وخفض الجناح لهم ودعوة الناس إلى هذا بكلِّ ما أوتينا، فعن ابن طاووس عن أبيه قال: (إنَّ من السنَّة أن توقر العالمَ).[4] ومن هنا كانت قصة ابن عباس رضي الله عنهما المشهورة إذ: (أمسك ابن عباس بركاب زيد بن ثابت فقال: أتمسك لي وأنت ابن عمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: إنَّا هكذا نصنع بالعلماء).[5] وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: « أمرنا أن نتواضعَ لمن نتعلم منه ».[6] فحق العالم علينا أن نتواضع له وأن نجله ونقدره وأن نحترمه.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (إنَّ من حق العالم ألا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته في الجواب، وأن لا تلح عليه إذا كسل... وعليك أن توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ أمر الله).[7]

(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ)[8] هذه مقابلة بين العامل بطاعة اللهّ وغيره، وبين العالم والجاهل، وأن هذا من الأمور التي تقرر في العقول تباينها، وعلم علما يقينا تفاوتها، فليس المعرض عن طاعة ربه، المتبع لهواه، كمن هو قانت... (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ) ربهم ويعلمون دينه الشرعي ودينه الجزائي، وما له في ذلك من الأسرار والحكم (وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ) شيئاً من ذلك ؟ لا يستوي هؤلاء ولا هؤلاء، كما لا يستوي الليل والنَّهار، والضياء والظلام، والماء والنَّار.[9]

---

(1) سورة النور: 12.

(2) مقالة للدكتور سعد بن تركي الخثلان، بعنوان (حسن الظنّ بعلماء الأمَّة)، منشورة على شبكة قصر الخير بتاريخ 12/12/2010م.

(3) تفسير السَّعدي: ص563.

(4) جامع بيان العلم وفضله: 1/222.

(5) معجم الصَّحابة: برقم (853): 2/267.

(6) الجامع لأخلاق الرَّاوي وآداب السَّامع: برقم (344): 1/397.

(7) جامع بيان العلم وفضله: برقم (501): 1/255.

(8) سورة الزمر: 9.

(9) تفسير السَّعدي: ص720.

والعلماء هم أخشى النَّاس لله، وهم أعبد الناس لله تعالى؛ قال تعالى مادحاً إيَّاهم: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء)[1] إنَّما يخشاه حق خشيته العلماءُ العارفون به ؛ لأنَّه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتمُّ والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر.

وعن معنى هذه الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما: (الذين يعلمون أنَّ الله على كلِّ شيءٍ قدير).[2] (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ)[3] وأولو الأمر- كما يقول أهل العلم - هم العلماء ويدلُّ على صحته قوله تعالى: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ)[4] فأمر تعالى بردِّ المتنازع فيه إلى كتاب الله وسنَّة نبيِّه صلى الله عليه وسلم وليس لغير العلماء معرفة كيفية الرَّد إلى الكتاب والسنَّة ويدلُّ هذا على صحة كون سؤال العلماء واجبًا، وامتثال فتواهم لازماً قال تعالى: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ)[5] قال سهل بن عبد الله رحمه الله: « لا يزال النَّاس بخير ما عظموا السُّلطان والعلماء؛ فإذا عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم وإذا استخفوا بهذين أفسد دنياهم».[6] وقال بعض المفسَّرين: أولو الأمر: الأمراء والعلماء.[7]

ويقول الله تعالى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)[8]، « وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ ».[9]

وعن أبي أُمامةَ الباهليِّ قال ذُكِرَ لرسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَجُلاَنِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالآخَرُ عَالِمٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ

(1) سورة فاطر: 28.

(2) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: 6/544.

(3) سورة النساء: 59.

(4) سورة النساء: 59.

(5) سورة النحل: 43.

(6) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): 5/260.

(7) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: 2/345.

(8) سورة المجادلة: 11.

(9) سنن أبي داود: كتاب (العلم)، باب (الحث على طلب العلم)، رقم الحديث (3643): 3/354 ؛ سنن ابن ماجه: كتاب (في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم)، باب (فضل العلماء والحث على طلب العلم)، رقم الحديث (223): 1/81. وقال عنه الألباني: (صحيح).

حَتَّـى النَّمْلَـةَ فِـي جُحْرِهَـا وَحَتَّـى الْحُـوتَ لَيُصَلُّـونَ عَلَـى مُعَلِّمِ النَّـاسِ الْخَيْـرَ ».[1]

فهـم إذاً أعـلام علـى طريـق الهـدى، وهـم كالنُّجـوم يُهتـدى بهـم، قـال أبـو الـدرداء رضـي الله عنـه: (مَثَـلُ العلمـاءِ فـي النَّـاسِ كمَثَـلِ النُّجُـوم فـي السَّمَاءِ يُهْتَـدَى بِهَـا).[2] والعلمـاء هـم أحـق النَّـاس بالاحتـرام والمحبـة والتوقيـر بعـد الله وبعـد رسـوله صلـى الله عليـه وسـلم، كمـا قـال علـيٌّ رضـي الله عنـه: (محبـة العالـم دين يُـدان بـه)[3] ؛ وذلـك لأنَّ العلـم ميـراث الأنبيـاء والعلمـاء ورثتـه، بـل إنَّ محبـة العالـم تحمـل علـى تعلّـم علمـه واتّباعـه، والعمـل بذلـك دين يُـدان بـه.

والعلمـاء هـم أرقـى النـاس منزلـة فـي الدنيـا قبـل الآخـرة، أحـق النـاس أن تشـرأبَّ لهـم الأعنـاق وتتطلـع لمـا عندهـم، بـل الغبطـة تكـون علـى هـؤلاء كمـا قـال النَّبـيُّ صلـى الله عليـه وسـلم: «لاَ حَسَـدَ إِلاَّ فِـي اثْنَتَيْـنِ رَجُـلٌ آتَـاهُ اللَّهُ مَـالاً فَسُـلِّطَ عَلَـى هَلَكَتِـهِ فِـي الْحَـقِّ وَرَجُـلٌ آتَـاهُ اللَّهُ الْحِكْمَـةَ فَهْـوَ يَقْضِـي بِهَـا وَيُعَلِّمُهَـا ».[4]

وقـال سـفيان بـن عيينـة: « أرفـعُ النَّـاس عنـد الله منزلـةً مَـنْ كانَ بيـنَ اللهِ وبيـنَ عبـادِه، وهُـمُ الأنبيـاء والعلمـاء ».[5] إذًا لا بـد حينئـذٍ مـن أن ندين الله تعالـى باحتـرام العلمـاء وتوقيرهـم، فعـن الحسـن البصـري يقـول: (كَانُـوا يَقُولُـونَ مَـوْتُ الْعَالِـمِ ثُلْمَـةٌ فِـي الإِسْـلاَمِ لاَ يَسُـدُّهَا شَـيءٌ مَـا اخْتَلَـفَ اللَّيْـلُ وَالنَّهَـارُ).[6] وقـال الأوزاعـي: « النَّـاسُ عندنـا أهـل العلـم».[7] فمـن سـواهم يعنـي عندهـم لا شـيء.

(1) سنن الترمذي: كتاب (العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)، باب (ما جاء في فضل الفقه على العبادة)، رقم الحديث (2685): 5/50. وقال عنه الترمذي: «هذا حديث غريب ». وصحَّحه الألباني.

(2) أخلاق العلماء: ص27.

(3) الفقيه والمتفقه: 1/71.

(4) صحيح البخاري: كتاب (العلم)، باب (الاغتباط في العلم والحكمة)، رقم الحديث (73): 1/39، صحيح مسلم: كتاب (صلاة المسافرين وقصرها)، باب (فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها)، برقم (816): 1/559.

(5) الفقيه والمتفقه: 1/54.

(6) سنن الدَّارمي: باب (في فضل العلم والعالم)، رقم الحديث (324): 1/106. وقال عنه حسين مسلم: (إسناده صحيح).

(7) تفسير ابن أبى حاتم: برقم (16186): 9/2855.

المحور الثاني

نصيحة العلماء في نشر دعوتهم، وبثِّ علومهم

حرص علماء الأمَّة غاية الحرص وبذلوا ما يستطيعون في تحمُّل هذه الشريعة وتلقيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم وقد قاموا بما يجب عليهم نحوها تحمُّلاً وتأديةً، وكان هذا من أسباب فضلهم ومكانتهم ممَّا يدعوننا إلى نصحهم من خلال نشر دعوتهم وبثِّ علومهم ؛ لأنَّ كلَّ من جاء بعدهم لا يعرف الحق والهدى إلاَّ من طريق علماء الأمَّة الثقات عن التابعين عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لم يبلغنا الكتاب والسنَّة إلاَّ بوساطتهم فهم الوساطة بين الأمَّة وبين رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، ولم يحصل للنَّاس شيء من الحق والهدى إلاَّ عن طريقهم رضي الله عنهم.

قال تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ).[1] « فلا أحد أحسن قولًا ممن دعا إلى توحيد الله وعبادته وحده وعمل صالحًا (وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) المنقادين لأمر الله وشرعه. وفي الآية حثٌّ على الدعوة إلى الله سبحانه، وبيان فضل العلماء الدَّاعين إليه على بصيرة، وَفْق ما جاء عن رسول الله مُحمَّد صلى الله عليه وسلم ».[2]وذلك لما لأهل العلم من منزلةٍ رفيعةٍ ومكانةٍ عظيمةٍ في دين الإسلام وهذا ممَّا يجب علينا أن نتذكره دائمًا، ولاسيِّما في هذا العصر حيث تعددت المشارب والمناهج، عبر الوسائل المتعددة، وأصبح من الناس من يتصدر أمور الدين بغير أهليّةٍ وتمكُّنٍ، ويماري العلماء الربانيِّين أهل الحق والبصيرة، بكلام واهٍ أوهن من خيوط العنكبوت، باسم حريَّة الرأي والتعبير !!

وغاب عن بال هؤلاء وأمثالهم قول الله سبحانه وتعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا)[3]، وأنَّ العلم لا يؤخذ إلاَّ عن أهله ومِنْ ذوي الاختصاص، فهذا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عندما سُئِل عن كلمةٍ من غريب الحديث قال: « سلُوا أصْحَاب الغَريب، فإنِّي أكره أنْ أتكلَّم في قول رَسُول الله صلى الله عليه وسلم بالظنِّ فأخطئ ».[4]

ولذا يقول الله تعالى: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)[5] فأمرَ سبحانه مَنْ لَمْ يَعْلَمْ،

(1) سورة فصلت: 33.

(2) التفسير الميسَّر: ص480.

(3) سورة الإسراء: 36.

(4) الجامع في العلل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل: ص217.

(5) سورة النحل: 43.

أَنْ يَسْـأَلَ أَهْلَ الذِّكْرِ وهـمْ أُولُـو الْكِتَـابِ وَالْعِلْـم، ولَـوْلَا أَنَّ أَخْبَارَهُمْ تُفِيدُ الْعِلْمَ لَـمْ يَأْمُـرْ بسُـؤَالِ مَـنْ لَا يُفِيدُ خَبَـرُهُ عِلْمًـا .[1] قـال الإمـام ابـن القيـم رحمـه الله تعالـى فـي بيانـه لِسِـمَة العلمـاء وأنَّهـم موقعيـن عـن رب العالميـن: « ولمـا كان التبليـغ عـن الله سـبحانه، يعتمـد العلـم بمـا يبلـغ والصـدق فيـه لـم تصلـح مرتبـة التبليـغ بالروايـة والفتيـا إلا لمـن اتصـف بالعلـم والصـدق، فيكـون عالمـا بما بلـغ صادقـا فيـه، ويكـون مـع ذلـك حسـن الطريقـة، مرضـي السـيرة، عـدلا فـي أقوالـه وأفعالـه، متشـابه السـر والعلانيـة فـي مدخلـه ومخرجـه وأحوالـه، وإذا كان منصـب التوقيـع عـن الملـوك بالمحـل الـذي لا ينكـر فضلـه ولا يجهـل قـدره وهـو مـن أعلـى المراتـب السـنيات فكيـف بمنصـب التوقيـع عـن رب الأرض والسـموات ! ».[2]

وقـد اعتنـى الإسـلام بإنـزال النـاس منازلهـم، ولاسـيِّماً أهـل العلـم منهـم، وفـي القـرآن الكريـم مـا يكفـي قولـه: (قُـلْ هَـلْ يَسْـتَوِي الَّذِيـنَ يَعْلَمُـونَ وَالَّذِيـنَ لَا يَعْلَمُـونَ إِنَّمَـا يَتَذَكَّـرُ أُولُـو الْأَلْبَـابِ)[3]، وقولـه تعالـى: (شَـهِدَ اللَّهُ أَنَّـهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ وَالْمَلَائِكَـةُ وَأُولُـو الْعِلْـمِ قَائِمًـا بِالْقِسْـطِ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ الْعَزِيـزُ الْحَكِيـمُ)[4] « وفـي هـذه الآيـة الأخيـرة بيـان فضـل أهـل العلـم ؛ لأنـه ذكـر شـهادة نفسـه سـبحانه، ثـم ذكـر شـهادة الملائكـة، ثـم ذكـر شـهادة أهـل العلـم ».[5]

وعليـه فمَـنْ اسـتغنى عمَّـا جـاء عـن طريـق العلمـاء الثقـات فإنَّـه لـم يظفـر بشـيء مـن الحـق وإنَّمـا ظفـر بالخـذلان وظفـر بالحرمـان وسـلوك سـبيل غيـر المؤمنيـن ؛ لأنَّـه لا صلـة تربـط المسـلمين برسـول الله صلـى الله عليـه وسـلَّم مـن بعـد عهـد الصَّحابـة والتابعيـن إلاَّ بالأخـذ عـن هـؤلاء العلمـاء، وهـذا فضـل الله تعالـى عليهـم وممَّـا فَضَلُـوا بـه غيَرهـم وتميَّـزوا بـه علـى غيرِهِـم.

ولهـذا كان هـؤلاء العلمـاء مـن الصَّحابـة ومـن بعدهـم ومـن سـار علـى منوالهـم وُصِفـوا كمـا جـاء فـي الحديـث بأنَّهـم الـوُرَّاث لرسـول الله عليـه الصـلاة والسـلام، فقد جـاء فـي الحديـث أنَّ: « الْعُلَمَـاءَ وَرَثَـةُ الأَنْبِيَـاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَـاءَ لَـمْ يُوَرِّثُـوا دِينَـارًا وَلاَ دِرْهَمًـا، وَرَّثُـوا الْعِلْـمَ فَمَـنْ أَخَـذَهُ أَخَـذَ بِحَـظٍّ وَافِـرٍ ».[6]

---

(1) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: ص578.

(2) إعلام الموقعين عن رب العالمين: 1/10.

(3) سورة الزمر: 9.

(4) سورة آل عمران: 18.

(5) تفسير بحر العلوم: 1/226.

(6) سنن أبي داود: كتاب (العلم)، باب (الحث على طلب العلم)، رقم الحديث (3643): 3/354 ؛ سنن ابن ماجه: كتاب (في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم)، باب (فضل العلماء والحث على طلب العلم)، رقم الحديث (223): 1/81. وقال عنه الشيخ الألباني: (صحيح).

فكان هذا شأن علماء هذه الأمَّة من الصحابة ومن تبعهم، هم الوُرَّاث الذين وَرِثوا هذا الحق والهدى وهذا العلم النافع الذي يتناقله كلُّ من جاء بعدهم ويستفيد من علمهم ويذكرهم بالخير ويُثني عليهم ويدعو لهم ويؤجره الله عزَّ وجلَّ بالعمل بهذا العلم النَّافع الذي أخذه عن طريقهم فإذا ما استفدنا من علمهم ونشرنا تواليفهم وعلومهم الصَّحيحة التي تلقوها عمَّن قبلهم من الثقات، وبذلنا كل ما في وسعنا من أجل أن يبقوا أحياء على ألسنة النَّاس وفي أذاهنهم وقلوبهم، حينئذٍ صرنا من النَّاصحين - فعلاً- لهؤلاء العلماء، بل نوصَف بالنَّاصحين المخلصين العاملين بشروط النُّصح المنضبطة، وهذه هي الثمرة وهذه هي الفائدة الحقيقية من نصيحة العلماء.

المحور الثالث

نصيحة العلماء في الذبِّ عن هفواتهم، وعدم الاعتقاد بعصمتهم

إنَّ الطعن والثلب في أعراض العلماء بغير حق شرعي يُعدُّ طعناً في السنَّة ؛ لأنَّهم حملتها وروادها وورثة نبيِّنا مُحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، ولذلك يجب الذب عن أعراضهم والدِّفاع عنهم، وهو نوع من أنواع نصيحتهم. ومن يتناول سلف الأمَّة في أيِّ مجالٍ كان: بذكر المثالب وبذكر النَّواقص والطعن فيه أو في عرضه، وهذا كله أشر ما يكون على الإنسان، والعلماء يقولون: لحوم العلماء مسمومة، يعني: من تناول العلماء بالسبِّ والتنقيص لشيءٍ عندهم، فإنَّما ذلك سمٌّ يتناوله.

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: « أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لاَ يَتْرُكُونَهُنَّ الْفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاِسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ ».[1]

وسببه قصور النَّظرة في فَهم قدر العلماء، فمن هنا وُجِدَ من بعضهم اتهام العلماء بالقصور أو التقصير أو قلة الوعي، أو أيِّ نوع من أنواع التنقيص لتبرير دعوة الجاهلين، بل إنَّ بعضهم يرفع نفسه ومجلسه على حساب الكلام في أعراض العلماء، وهذا الأمر وإن كان كشفه مؤلماً لكن لا بد من ذكره، ولا بد من السَّعي لعلاجه من باب النَّصيحة، فلا ينبغي الطعن في ميت قط، وإذا كان من أهل العلم والفضل فله منهجه، فإذا كان قوله مخالفاً لإجماع المسلمين فنقول: هذه الطريقة فاسدة، هذه الطريقة باطلة ولا نتناول صاحبها بالسَّب واللعن والتنقيص، كما إذا وجدنا كتاباً لإنسان، ووجدنا المكتوب فيه مغايراً لإجماع المسلمين فليكن نقدنا منصباً على المكتوب وليس على الكاتب ؛ لأنَّ المنصب على الكاتب لا قيمة له، وإنَّما التحذير من هذا المكتوب، وإذا نقضت المكتوب فإنَّ ذلك يكفي.

فوجب أن لا نخوض في أعراض العلماء، فإنَّ لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في الذين

(1) صحيح مسلم: كتاب (الجنائز)، باب (التشديد في النِّياحة)، رقم الحديث (934): 2/644.

ينالـون منهـم معلومـة، إذ إنَّ لهـم حصانـة شـرعية، مـن نـال منهـم نالـه الله تعالـى: (إِنَّ الَّذِيـنَ أَجْرَمُـوا كَانُـواْ مِـنَ الَّذِيـنَ آمَنُـوا يَضْحَكُـونَ وَإِذَا مَـرُّواْ بِهِـمْ يَتَغَامَـزُونَ وَإِذَا انقَلَبُـواْ إِلَـى أَهْلِهِـمُ انقَلَبُـواْ فَكِهِيـنَ وَإِذَا رَأَوْهُـمْ قَالُـوا إِنَّ هَـؤُلاء لَضَالُّـونَ وَمَـا أُرْسِـلُوا عَلَيْهِـمْ حَافِظِيـنَ فَالْيَـوْمَ الَّذِيـنَ آمَنُـواْ مِـنَ الْكُفَّـارِ يَضْحَكُـونَ)[1] فمـن هتـك ستر عالـمٍ وتكلـم فيـه بغيـر حـق، ابتلـي بسـوء ذنبـه، وقـد يُختَـمُ لـه بخاتمـة السُّـوء حيـن مصرعـه: (فَلْيَحْـذَرِ الَّذِيـنَ يُخَالِفُـونَ عَـنْ أَمْـرِهِ أَنْ تُصِيبَهُـمْ فِتْنَـةٌ أَوْ يُصِيبَهُـمْ عَـذَابٌ أَلِيـمٌ)[2].

ومـن أراد أن ينصـحَ عالمًـا فـلا ينصحـه علـى وجـه التوبيـخ بالذنـب، إذ ذاك قبـح مذمـوم، قيـل لبعـض السَّـلف: أتحـبُّ أن يخبـرَكَ أحـدٌ بعيوبـك ؟ فقـال: (إنْ كانَ يُريـدُ أنْ يُوبِّخنـي فـلا).[3] فالتوبيـخ والتعييـر والتشـهير بالذنـب مذمـوم.

ولـذا كان السَّـلف الصَّالـح يكرهـون الأمـر بالمعـروف والنَّهـي عـن المنكـر علـى هـذا الوجـه، ويُحبـون أن يكـون سـرًّا فيمـا بيـن الآمـر والمأمـور، وهـذا هـو أسـاس النُّصـح الحقيقـي، إذ إنَّ النَّاصـح ليـس لـه غـرض فـي إشـاعة عيـوب مـن ينصـح لـه وإنَّمـا غرضـه إزالـة المفسـدة التـي وقـع فيهـا.

والفاجـر لا غـرض لـه فـي زوال المفاسـد ولا فـي اجتنـاب العلمـاء للنَّقائـص والمعايـب إنَّمـا غرضـه فـي مجـرد إشـاعة العيـب فـي أهـل العلـم وهتـك أعراضهـم، فهـو يعيـد ذلـك ويبديـه ومقصـوده تنقصهـم فـي إظهـار بعـض عيوبهـم – إن كانـت لهـم - ليُدخـل عليهـم الضـرر فـي الدنيـا.[4]

وأمَّـا النَّاصـح الأميـن فغرضُـه بذلـك إزالـة عيـب العلمـاء والمؤمنيـن واجتنابهـم لـه وبذلـك وصـف الله تعالـى رسـوله صلـى الله عليـه وسـلم فقـال: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُـولٌ مِـنْ أَنْفُسِـكُمْ عَزِيـزٌ عَلَيْـهِ مَـا عَنِتُّـمْ حَرِيـصٌ عَلَيْكُـمْ بِالْمُؤْمِنِيـنَ رَءُوفٌ رَحِيـمٌ)[5] ووصـف بذلـك أصحابـه فقـال: (مُحَمَّـدٌ رَسُـولُ اللَّهِ وَالَّذِيـنَ مَعَـهُ أَشِـدَّاءُ عَلَـى الْكُفَّـارِ رُحَمَـاءُ بَيْنَهُـمْ تَرَاهُـمْ رُكَّعًـا سُـجَّدًا يَبْتَغُـونَ فَضْـلًا مِـنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًـا سِـيمَاهُمْ فِـي وُجُوهِهِـمْ مِـنْ أَثَـرِ السُّـجُودِ ذَلِـكَ مَثَلُهُـمْ فِـي التَّـوْرَاةِ وَمَثَلُهُـمْ فِـي الْإِنْجِيـلِ كَـزَرْعٍ أَخْـرَجَ شَـطْأَهُ فَـآزَرَهُ فَاسْـتَغْلَظَ فَاسْـتَوَى عَلَـى سُـوقِهِ يُعْجِـبُ الـزُّرَّاعَ لِيَغِيـظَ بِهِـمُ الْكُفَّـارَ

(1) سورة المطففين: 29 - 34.

(2) سورة النور: 63.

(3) الفرق بين النَّصيحة والتعيير: ص16.

(4) ينظر: المرجع نفسه: ص18.

(5) سورة التوبة: 128.

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)[1].

وأمَّا الحامل للفاجر على إشاعة السوء وهتكه فهو القوة والغلظة ومحبته إيذاء أهل العلم والإيمان وإدخال الضرر عليهم وهذه صفة الشيطان الذي يزيِّن لبني آدم الكفر والفسوق والعصيان ليصيروا بذلك من أهل النِّيران كما قال الله تعالى: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ)[2].

وقال بعد أن قصَّ علينا قصته مع نبيِّ الله آدم عليه السَّلام ومكرَه به حتى توصل إلى إخراجه من الجنَّة: (يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا)[3]. فشتان بين من قصده النَّصيحة وبين من قصده الفضيحة ولا تلتبس إحداهما بالأخرى إلا على من ليس من ذوي العقول الصَّحيحة.[4]

وعليه فإذا ما أردنا أن ننصح للعلماء فلا بد من رفع وإبراز تلك القمم الشمَّاء من الجهابذة العلماء الربانيِّين، وإعلان الثقة فيهم وإن أخطأوا فلهم أجرٌ دون أن نعتقدَ بعصمتهم، فكلٌ ردٌّ ومردودٌ عليه، والعصمة لأنبياء الله ورسله، والفاضل من عدت سقطاته، وليتنا أدركنا بعض صوابهم، أو كنَّا ممَّن يُميِّز خطأهم على الأقل وإذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث، وما عبر الإنسان عن فضل نفسه بمثل اعتقاد الفضل في كلٍّ فاضل. كما يجب أن نبرئ ألسنتنا من الطعن فيهم وأن نكف عن غيبتهم، ونكن لهم عوناً وإن عاديناهم يوماً فعلينا أن نستغفر الله تعالى من ذلك الذنب ونتوب إليه توبة النصوح.

وفي المقابل نعتقد بأنَّ مَنْ خاض في أعراض العلماء، ودعا إلى ذلك فقد سنَّ سنَّةً سيئةً، عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة فالدال على الشر كفاعله والسَّعيد من إذا مات ماتت معه سيئاته قال الله تعالى: (وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ)[5] فالعلماء عقول الأمَّة، والأمَّة التي لا تحترم عقولها غير جديرةٍ بالبقاء، والعلماء حملة الشريعة وورثة الأنبياء، والمؤتمنون على الرِّسالة، حبهم والذب عنهم ديانة، ما خلت ساحة من أهل العلم إلا اتخذ الناس رؤوساً جهالاً يفتونهم بغير علم فيعمّ الضلال.

ونخلص من هذا إلى أنَّ النَّيل من العلماء وإيذائهم يُعدُّ إعراضاً أو تقصيراً في تعظيم شعيرة من شعائر الله، وإنَّ ممَّا يدلُّ على خطورة إيذاء العلماء، ما رواه البخاري في

(1) سورة الفتح: 29.

(2) سورة فاطر: 6.

(3) سورة الأعراف: 27.

(4) ينظر: الفرق بين النَّصيحة والتعيير: ص18 – 19.

(5) سورة يس: 12.

صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ».[1]

والولي: هو العالم بدين الله تعالى، المواظب على طاعته المخلص في عبادته.[2]

روى الخطيب البغدادي عن أبي حنيفة أنَّه قال: « إن لم يكن أولياء الله في الدُّنيا والآخرة الفقهاء والعلماء، فليس لله ولي ».[3]

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (مَنْ آذَى فقيهاً فقد آذَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَنْ آذَى رسولَ الله فقد آذَى الله عزَّ وجل)[4]. فهل نحن نستحضر هذا الوعيد الشديد عندما نهم بالحديث في عالم من العلماء، ونبدي النَّصيحة لهم من خلال الصَّمت والكف عن أذيَّتهم ؟! لعلَّ في هذه النُّصوص تبياناً لفضل العلماء، وتذكيراً ببعض ما يجب لهم علينا من حيث النَّصيحة بالمباشرة في الذبِّ عن هفواتهم وعن أعراضهم واستيفاء الحقوق لهم.

وبهذا نكون قد هيَّأنا لهم الجو لإعطائنا مزيداً من علمهم ومعارفهم، كما قال ابن جُريْج: « لم أستخرج الذي استخرجتُ من عطاءٍ إلا برفقي به ».[5]

فحسن المعاملة مع العالم تشرح صدره، وحينئذٍ ينعكس ذلك على إعطائه، فيعطى عطاء جيِّداً مثمراً كما أنَّ سوء معاملته أو عدم التأدب معه يؤثر على إخراجه للمعلومات، لذلك يقول الزهري: « كان سلمةُ يُماري ابن عباس فحرم بذلك علماً كثيراً ».[6]

وأمَّا عن كيفية التعامل مع العلماء في حالة خطأ أحدهم فتكون بالتثبت من صحَّة ما نسب إليهم، ونصحهم بعد ذلك بالأدب وبالوجه اللائق بمكانتهم، دون انتقاصٍ لمنزلتهم، وإنَّ للنصيحة منزلة عظيمة كما علمنا، فهي دأب الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ولكن النصيحة بضوابطها، وإلا خرجت عن طورها، وأتت بنتائج لا تتلاءم مع مشروعيتها.

(1) صحيح البخاري: كتاب (الرقاق)، باب (التواضع)، رقم الحديث (6137): 5/2384.

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري: 13/293.

(3) الفقيه والمتفقه: برقم (137): ص54.

(4) الفقيه والمتفقه: برقم (124): ص51.

(5) جامع بيان العلم وفضله: 1/201.

(6) جامع بيان العلم وفضله: 1/254.

المحور الرَّابع

نصيحة العلماء في الأخذ عنهم، وتحمُّل ما رووه

إنَّ هؤلاء العلماء الذين هذا شأنهم وهذا وصفهم قد بذلوا ما يستطيعون في الوصول إلى الحق وفي تحصيل العلم النَّافع وفي معرفة الأحكام الشرعية فقد بذلوا وسعهم وتوصلوا إلى ما توصلوا إليه وقد كانوا جامعين بين معرفة الدليل والفقه في الدليل، وهذا هو الغالب على كثير منهم فإنَّهم جمعوا بين الفقه والحديث، جمعوا بين معرفة الآثار وحفظها واستيعابها وبين الفقه فيها فكانوا أوعيةً للعلم وحفَّاظاً له وكانوا أيضاً متمكنين في فهمه وفي معرفته ولهذا كانوا يجمعون بين الدِّراية والرِّواية، لا يكون همُّهم الرِّواية فقط ولا همُّهم الدِّراية فقط وإنَّما همُّهم أن يجمعوا بين العلم والعمل وأن يجمعوا بين حفظ الأدلة وبين الفقه فيها ومعرفتها، ثمَّ إنَّهم يتفقون فيما يتفقون فيه ويختلفون فيما يختلفون فيه، وهذا الذي يختلفون فيه منه ما هو اختلاف تنوّع، ومنه ما هو اختلاف تضاد فاختلاف التنوُّع لا يؤثر، ولا حرج فيه - كما قاله أهل العلم- ولا يُقال إنَّ هذا مصيب وهذا مخطئ، بل كلهم مصيبون ؛ لأنَّ اختلاف التنوّع كله جاءت به السنُّة وكله حقٌّ. فهم مفضَّلون على من سواهم كما وصفهم تعالى بقوله: (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ)[1] « فَضَّلهم على غيرهم، وهم العلماء بالله، بصفاته وأسمائه وآياته، وشرائعه، وأسرارها ».[2]

وهذا ابن عباس رضي الله عنهما - وهو من أوعية السنَّة ومن فقهائها- يرشدُ ابنه ومولاه لأنْ يذهبَ إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ويسمع من حديثه. فكان يدلُّ بعضهم إلى بعض ويرشد بعضهم إلى أن يذهبَ الناس إلى هذا الصَّحابيِّ لأن يأخذوا من حديثه.

وحينئذٍ لا بد لنا أن نأخذ من علمائنا علومهم ونتحمَّلها، وإذا ما سمعنا كلام بعض العلماء على بعض وجب علينا أن لا نسمعه أو بالأحرى لا نأخذه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (اسْتَمِعُوا كَلامَ الْعُلَمَاءِ وَلا تُصَدِّقُوا بعضَهُم عَلى بعضٍ، فَوَ الذي نَفْسِي بِيَدِه لَهُمْ أشدّ تغايُرًا مِن التُّيُوسِ في زرْبِهَا).[3]

وعنه أيضاً قال: (خُذُوا العِلْمَ حَيْثُ وَجَدتُّم، وَلا تَقْبَلُوا قَوْلَ الفُقَهَاءِ بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ، فَإنَّهُم يَتَغَايَرُون تَغَايُرَ التُّيُوسِ في الزَّرِيْبَةِ).[4] ونحوه قال مالك بن دينارٍ: (أَقْبَلُ شَهَادَةَ

(1) سورة العنكبوت: 43.

(2) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: 4/139.

(3) جامع بيان العلم وفضله: برقم (1109): 2/95.

(4) المصدر نفسه: برقم (1110): 2/95.

الْقُرَّاءِ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ؛ فَإِنَّهُمْ أَشَدُّ تَحَاسُداً مِنَ التُّيُوسِ).[1]

وهذا يعني استفيدوا من علم العلماء، ولكن لا تُصدِّقوا كلام العلماء بعضهم على بعض. ولذلك قال الذهبي: « كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به لاسيِّما إذا لاح لك أنَّه لعداوةٍ أو لمذهبٍ أو لحسدٍ وما ينجو منه إلا من عصمه اللهُ وما علمت أنَّ عصراً من الأعصار سلم أهلُهُ من ذلك سوى الأنبياء والصِّديقين ».[2]

إذن صار لزامًا علينا في نصيحتنا للعلماء أن نأخذ العلم منهم ولا نتلقاه عن غيرهم. وقد رأينا نتيجة أخذ العلم وتلقِّيه عن غير العلماء، وأخذه عن المغمورين والمجاهيل، والعاكفين حول الإنترنت، ناهيك عن رضا هؤلاء بهذه الألقاب وهم بعيدون عن حقيقتها، ويصدق فيهم قول الله تعالى: (وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا)[3].

وذلك لأنَّ العلماء هم صَمَّام الأمان للأمة بكل طبقاتها، إذْ بهم تحيى السنن، وتتحقَّق المصالح العظيمة للعباد، وفي ذهابهم وقِلَّتِهم الخسران المبين، وببزوغ رؤوسٍ جاهلةٍ تتخبَّط بغير هدىً وبصيرةٍ، فتوقع في الفتن وعظيم المِحَن.

ومن هنا يتُبيِّنُ لنا المنهاج القويم الذي ينبغي أن يسلكه طالب العلم في حق سلف هذه الأمة الذين أفنوا أعمارهم وبذلوا قصار جهدهم في جمع العلم وتحصيله وتدوينه حتى صار أمامنا ميسراً ومهيئاً، ليس علينا إلا أن نقرأ هذا الذي دونوه، وأن نقتطف من هذه الثمار المهيأة الناضجة، التي هم أتعبوا أنفسهم في جمعها وفي سقايتها وفي رعايتها والمحافظة عليها حتى وصلت إلينا جاهزة، ووصلت إلينا على هذه الصورة وعلى هذه الهيئة الكاملة التي ليس علينا إلا أن نقرأ وأن نستفيد.

المحور الخامس

نصيحة العلماء في إكرامهم وتنزيلهم منزلتهم المشروعة

إنَّ ممَّا يجبُ أنْ يُعتقدَ في حقِّ الصَّحابة ومَنْ جاءَ بعدهم وسار على منهجهم من العلماء، أن يُكرَموا ويُوقَّروا، وإنَّ من إكرامهم محبتهم وامتلاء القلوب بمحبتهم، وتنزيلهم منزلتهم الحقة واللائقة بهم، وذكرهم بالخير والثناء عليهم، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ

(1) المجالسة وجواهر العلم: برقم (2947): 7/75.

(2) ميزان الاعتدال في نقد الرجال: 1/111.

(3) سورة آل عمران: 188.

آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)[1] وفي هذه الآية ملمح إلى معنى النُّصح الحقيقي، ألا وهو الإشادة بطبقتي العلماء والورعين وإيجاب تقديمهما على غيرهما في الإكرام والاحترام والتحمّل عنهما، كما نلمح فيها تقديم ذوي العقل والعلم، والخلق الكريم، والأدب الرَّفيع في المجالس على من سواهم.[2]

وهذا من السَّبيل، قال الطحاوي: « وعلماء السَّلف من السَّابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنَّظر لا يُذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوءٍ فهو على غير السَّبيل ».[3]

بل إنَّ علماء الشريعة هم شيوخ الأمة، ولهم مقام الأبوة في الدين، يقول الإمام النووي رحمه الله في معرض بيانه لأهمية معرفة الفقيه والمتفقه لشيوخه: « وهذا من المطلوبات المهمات، والنَّفائس الجليلات، التي ينبغي للمتفقه والفقيه معرفتها، وتقبح به جهالتها، فإنَّ شيوخه في العلم آباء في الدين، وصلة بينه وبين رب العالمين، وكيف لا يقبح جهل الإنسان والوصلة بينه وبين ربه الكريم الوهاب، مع أنه مأمور بالدعاء لهم، وبرهم، وذكر مآثرهم، والثناء عليهم، وشكرهم ».[4]

وإنَّ سير السَّلف رضي الله عنهم عطرةٌ بتعظيم العلماء والتأدب معهم، وزجر من أخلَّ بذلك، وإنزالهم منزلتهم ومكانتهم، فنجد من عبارات الثناء والمدح على العلماء من مفسرين ومحدثين وفقهاء وغيرهم من الألقاب الممنوحة الكثير من ذلك، نحو: العلامة، والحجة، والمحدث، والفقيه، والمفسر، والمسند، والحاكم، وشيخ الإسلام، ونحو ذلك ممَّا هو مسطورٌ في كتب التراجم والسِّير، بل قد تجتمع في بعض العلماء عدَّة ألقابٍ.

ولا شكَّ أنَّ مدحهم والثناء عليهم له ضوابط شرعية، ومن ذلك أنَّه لا يصاحب الألقاب والمدح والثناء الغلو والمبالغة حيث نهى الشرع عن ذلك. وأن يكون للحاجة والتعريف، وللإجابة على دفع توهمٍ أو لإزالة لَبْسٍ وأن لا نُنزل هذه الألقاب إلا على أهلها ومَنْ يستحقها مِنْ الجهابذة الكبار، ومَنْ شهد له من أهل العلم والبصيرة والتحقيق.

وأمَّا تنزيلها على أناسٍ لم يبلغوا من العلم شأوه، بل هم مجاهيل غير معروفين، فهذا له أبعادٌ خطيرةٌ، إذْ فيه إضافةً لكونه تضييعٌ لحق العلماء، فهو خديعةٌ للأمة وتغريرٌ بها؛ لأنَّ في إعطاء هذه الألقاب لمن لا يستحقها عبر الوسائل المختلفة، فيه مفاسد كثيرةٌ، لما

(1) سورة المجادلة: 11.

(2) ينظر: التفسير الحديث: 8/483.

(3) شرح العقيدة الطحاوية: ص503.

(4) تهذيب الأسماء واللغات: 1/18.

ينتـج عـن ذلـك مـن آراء شـاذةٍ، وفتـاوى غريبـةٍ، مخالفـةٍ للقـرآن والسـنة ونهـج سـلف الأمـة وإجماعهـا.

ولهـذا فـإنَّ مـنْ أكبـر أسـباب مـا وقعـت فيـه الأمـة مـن فتـنٍ ومحـنٍ فـي هـذه الآونـة الأخيـرة، إنمـا هـو نتيجـة إعطـاء هـؤلاء- أعنـي غيـر المؤهليـن علميًّـا، أو المتطرِّفيـن، والمتشـدِّدين - ألقابـاً لا يسـتحقونها وإنزالهـم منـازل هـم فـي الحقيقـة عـن منـأىً باتصافهـم بدلالاتهـا.

لـذا فمـن النُّصـح الحقيقـي لهـم، أن نثنـي عليهـم وأن نمدحهـم وأن نحمدهـم علـى مـا حصـل منهـم وأن نذكرهـم بالخيـر وأن تكـون ألسـنتنا رطبـة بذكرهـم وأن تكـون قلوبنـا مليئـة بحبهـم وأن نسـتفيد مـن علمهـم وأن نعتـرف بفضلهـم وبسـبقهم إلـى هـذا الخيـر وبكونهـم خلفـوا لنـا هـذا الميـراث الـذي علينـا أن نحصـر أن نكـون مـن ورَّاثهـم وأن نكـون فـي ضمـن الحلقـات المتصلـة فـي هـذا الميـراث الـذي هـو ميـراث النبـوة التـي تلقـاه أصحـاب رسـول الله صلـى الله عليـه وسلَّم ومـن جـاء بعدهـم علـى منوالهـم.

المحور السَّادس

نصيحة العلماء في الوفاء، والدعاء لهم

قـال الله تعالـى: (وَمَـن يُعَظِّـمْ حُرُمَـاتِ اللَّهِ فَهُـوَ خَيْـرٌ لَّـهُ عِنـدَ رَبِّـهِ)[1] مـن هـذا النَّـص الكريـم ؛ يتبيَّـن لنـا المكانـة العظيمـة، والدَّرجـة العاليـة التـي يتمتـع بهـا علمـاء الأمَّـة، ممَّـا يوجـب علـى النَّـاس أن يوفـوا حقوقهـم ويحفظـوا كرامتهـم ناهيـك عـن حُرُماتهـم، وممَّـن يجـب تعظيمهـم وإجلالهـم: صحابـة رسـول الله ومـن ثـمَّ العلمـاء، فيتعيَّـن الوفـاء لهـم باحترامهـم وتوقيرهـم وتقديرهـم حـق قدرهـم والقيـام بحقوقهـم.

وبالجملـة يجـب تعظيـم شـعائر الله تعالـى جميعهـا كمـا قـال عـزَّ وجـل: (وَمَـن يُعَظِّـمْ شَـعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَـا مِـن تَقْـوَى الْقُلُـوبِ)[2] ويلحـظ النَّاظـر فـي حـال المسـلمين أنَّ ثمَّـة مخالفـات تنافـي تعظيـم الله وشـعائره كالاسـتهزاء بالعلمـاء والاسـتخفاف أو الازدراء بهـم، فضـلاً عـن الانتقـاص لديـن الله تعالـى.

وتظهـر هـذه المخالفـات عبـر ألسـنة الجاهليـن ووسـائل الإعـلام المختلفـة، ومـن خـلال منابـر ثقافيـة ومؤسسـات علميَّـة مشـبوهة وغيرهـا، ممَّـا يـودي بإيقـاع المجتمـع المسـلم فـي حالـة خطيـرة مـن الفوضـى وانعـدام الأمـن.

ومـن أهـمِّ أسـباب وقـوع تلـك المخالفـات المنافيـة لتعظيـم شـعائر الله تعالـى: الجهل بديـن الله تعالى

(1) سورة الحج: 30.

(2) سورة الحج: 32.

وقلة العلم الشرعي وضعف التفقه في أهميَّة العلم ومكانة أهله، وكثرة مداهنات علماء السُّوء الذين أُشربوا حب الدنيا بل الذين تجرَّؤا فجعلوا الدِّين ألعوبة يأخذون منه ويدعون ؛ ممَّا أورث الاستخفاف بالعلماء الربَّانيِّين، أو الاستهزاء بهم، قال ابنُ القيِّم رحمه الله: « كل من آثر الدُّنيا من أهل العلم واستحبها، فلا بد أن يقول على الله غير الحق في فتواه وحكمه، في خبره وإلزامه لأنَّ أحكام الرَّب سبحانه كثيراً ما تأتي على خلاف أغراض النَّاس ».[1]

وإنَّ من النَّصيحة الشرعيَّة لعلماء الأمَّة، الوفاء لهم بعد موتهم بأنْ نشهد جنائزهم، إذ كان السلف الصَّالح يعدُّون كثرة المصلين على جنازة الرجل من علامات الخير والقبول له، لذلك يقول الإمام أحمد بن حنبل: « قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم يوم الجنائز ».[2]، أي إنَّ العلماء الربانيِّين يفقدهم الناس إذا ماتوا، ويكونون أكثر مشيِّعين يوم يموتون.

وكان موت العالم عند السَّلف له وقعه، فهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول: (موت الْعَالم ثلمة فِي الْإِسْلَام لَا يسدها اخْتِلَاف اللَّيْل وَالنَّهَار).[3]

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: (موت الْعَالم مُصِيبَة لَا تجبر وثلمة لَا تسد، وَهُوَ نجم طمس، وَمَوْت قَبيلَة أيسر من موت عَالم).[4]

وثبت كما في صحيح الحاكم[5] من حديث عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا)[6] قَالَ: (مَوْتُ عُلَمَائِهَا وَفُقَهَائِهَا).

كما أنَّه من إزداء النَّصيحة أن ندعوا لهم بالمغفرة والرحمة، وأنْ نذكرهم بالجميل، وعلينا ألا نغفل الثناء على علماء الأمة والدعاء لهم، ابتداءً من أئمة السلف صحابةٍ وتابعين ومن سار على نهجهم إلى يومنا هذا.

.. وفي الختام فهذه جملة من الأساليب المشروعة في نصيحتنا للعلماء وفق القرآن والسنَّة، وهي كثيرة فمتى ما عملنا بها مخلصين لله تعالى فقد قمنا بواجبنا تجاههم.

أسأل الله تعالى أن يوفقنا للعمل بها، وأن يُطهِّرَ ألسنتنا من أعراض النَّاس أحياءً وأمواتاً، من سلف الأمَّة وخلفها، وأن يُطهِّرَ قلوبنا من الغِلِّ والحقد والحسد.

---

(1) الفوائد: ص100.

(2) موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلله: 1/70.

(3) الفردوس بمأثور الخطاب: برقم (6459): 4/149.

(4) المصدر نفسه: برقم (6458):148- 4/149.

(5) المستدرك على الصحيحين: برقم (3334): 2/350. وقال عنه: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

(6) سورة الرعد: 41.

أهمّ نتائج البحث

هذا ومن خلال جولتي في كتابتي لهذا البحث فقد انتهيتُ إلى ما يأتي:

1. إنَّ من أعظم النُّصح لأهل العلم أن نعلم علم اليقين أنَّ لهم مكانة في الإسلام مكانة عظيمة، ممَّا يوجب توقيرهم والتواضع لهم، وأن نجلهم ونقدرهم ونحترمهم.

2. أكدت هذه الدِّراسة على أنَّه يجب نصحنا للعلماء من خلال ذكرهم بالخير والثناء عليهم وحمل ما يأتي منهم على أحسن المحامل واعتقاد أنَّهم بشر يُخطئون ويُصيبون فلا يُتكلم فيهم إلا بالخير.

3. إنَّ من أسباب الابتعاد والجفاء عن العلماء هو مردهم إلى سوء الظنِّ وانعدام الثقة بهم فإذا حَسَّنَ أحدنا ظنَّه بأهل العلم، وحكم عليهم بما يظهر منهم، زالت كثير من تلك العوائق واطمأنت النفوس وطاب المجتمع.

4. عدم فَهم كثير من النَّاس للمنهج الصَّحيح في نصيحة العلماء أوقعهم فيهم من حيث لا يشعرون حتى نالوا فيهم من الإيذاء ما لم ينله آحاد من النَّاس. وهذه الدِّراسة تُثبت أنَّ النَّيل من العلماء وإيذائهم يُعدُّ إعراضاً أو تقصيراً في تعظيم شعيرة من شعائر الله وإنَّ ممَّا يدلُّ على خطورة إيذاء العلماء، ما جاء في الحديث الصَّحيح قوله صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ». والولي: هو العالم بدين الله تعالى المواظب على طاعته المخلص في عبادته، يقول أبو حنيفة رحمه الله: « إن لم يكن أولياء الله في الدُّنيا والآخرة الفقهاء والعلماء، فليس لله ولي ». ومَن آذاهم كانت نتيجته كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: (مَنْ آذَى فقيهاً فقد آذَى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومَنْ آذَى رسولَ الله فقد آذَى الله عزَّ وجل).

5. العلماء هم أحق النَّاس بالودِّ والمحبة والتوقير بعد الله وبعد رسوله صلى الله عليه وسلم؛ وذلك لأنَّ العلم ميراث الأنبياء والعلماء ورثته، بل إنَّ محبة العالم تحمل على تعلّم علمه واتّباعه والعمل بذلك دين يُدان به.

6. مَنْ ادَّعى الاستغناء عمَّا جاء عن طريق العلماء الثقات فإنَّه لم يظفر بشيءٍ من الحق وإنَّما ظفر بالخذلان وظفر بالحرمان وسلوك سبيل غير المؤمنين ؛ لأنَّه لا صلة تربط المسلمين برسول الله صلى الله عليه وسلَّم من بعد عهد الصَّحابة والتابعين إلاَّ بالأخذ عن العلماء.

7. إنَّ الطعن والثلب في أعراض العلماء بغير حق شرعي يُعدُّ طعناً في السنَّة ؛ لأنَّهم حملتها وروَّادها، وورثة نبيِّنا مُحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، ولذلك يجب الذب عن أعراضهم والدِّفاع عنهم، وهو نوع من أنواع نصيحتهم، فمن يتناول سلف الأمَّة في

أيٍّ مجالٍ كان: بذكر المثالب وبذكر النَّواقص، والطعن فيه أو في عرضه، وهذا كله أشر ما يكون على الإنسان.

8. إنَّ من النَّصيحة للعلماء أن نطهرَ ألسنتنا من الطعن فيهم وأن نكفَّ عن غيبتهم، وأن نكن لهم عوناً. وإن عاديناهم يوماً فعلينا أن نستغفر الله تعالى من ذلك الذنب ونتوب إليه توبة نصوحاً. وفي المقابل نعتقد بأنَّ مَنْ خاض في أعراض العلماء، ودعا إلى ذلك فقد سنَّ سنَّةً سيئةً، عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.. و(الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ)

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

أخلاق العلماء: لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري البغدادي (ت360هـ)، تح. بدر البدر، ط دار الخلفاء – الكويت.

الأربعين في إرشاد السائرين إلى منازل المتقين أو الأربعين الطائية: أبو الفتوح مجد الدين محمد بن محمد بن علي الطائي الهمذاني (ت 555هـ)، تح. الشيخ عبد الستار أبو غدة، ط1 دار البشائر الإسلامية 1420هـ - 199م.

إعلام الموقعين عن رب العالمين: لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، ابن قيم الجوزية (ت751هـ)، تح. طه عبد الرؤوف سعد، ط دار الجيل – بيروت 1973م.

أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: لأبي بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر الجزائري، ط5 مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة / المملكة العربية السعودية 1424هـ - 2003م.

بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار: لأبي عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت1376هـ)، تح. عبد الكريم بن رسمي أل الدريني، ط1 مكتبة الرشد للنشر والتوزيع 1422هـ - 2002م.

التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت816هـ)، تح. إبراهيم الأبياري، ط1 دار الكتاب العربي- بيروت 1405هـ.

تفسير بحر العلوم: لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، تح.د. محمود مطرجي، دار الفكر – بيروت.

تفسير ابن أبي حاتم: للإمام الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت327هـ) تح. أسعد محمد الطيب، ط المكتبة العصرية - صيدا.

التفسير الحديث: دروزة محمد عزت، ط دار إحياء الكتب العربية – القاهرة / مصر 1383هـ.

تفسير الرازي (الجامع الكبير - مفاتيح الغيب): فخر الدِّين محمد بن عمر التميمي الرازي (ت606هـ) ط1 دار الكتب العلمية - بيروت 1421هـ - 2000م.

تفسير السَّعدي، والمسمَّى بـ (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان): للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت1376هـ)، تح. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1 مؤسسة الرِّسالة1420هـ- 2000م.

تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت774هـ)، تح. سامي بن محمد سلامة، ط2 دار طيبة للنشر والتوزيع 1420هـ - 1999م.

التفسير الميسر: نخبة من أساتذة التفسير، ط2 مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المملكة العربية السعودية 1430هـ - 2009م.

التفسير الوسيط للقرآن الكريم: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ط1 الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية (1393هـ / 1973م) - (1414هـ / 1993م).
التنوير شرح الجامع الصَّغير: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني، المعروف بالأمير الصنعاني (ت1182هـ)، تح. د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، ط1مكتبة دار السلام – الرياض / السعودية 1432هـ - 2011م.
تهذيب الأسماء واللغات: لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت676هـ)، عنيت بنشره وتصحيحه: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، ط دار الكتب العلمية- بيروت / لبنان.
التوضيح لشرح الجامع الصحيح: لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري (ت804هـ)، تح. دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث / دار النوادر - دمشق، ط1 1429هـ - 2008م.
التيسير في أحاديث التفسير: محمد المكي الناصري (ت1414هـ)، ط1 دار الغرب الإسلامي - بيروت / لبنان 1405هـ - 1985م.
جامع بيان العلم وفضله: لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي (ت463هـ)، تح. أبي عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، ط1 مؤسسة الريان - دار ابن حزم 1424هـ - 2003م.
جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم: لزين الدِّين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت795هـ)، تح. شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس، ط7 مؤسسة الرسالة – بيروت 1422هـ - 2001م.
الجامع في العلل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل: لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت241هـ)، رواية: المروذي وغيره، تح.د. وصي الله بن محمد عباس، ط1 الدار السلفية – بومباى / الهند 1408هـ - 1988م.
الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي (ت671هـ)، تح. سمير البخاري، ط دار عالم الكتب - الرياض / المملكة العربية السعودية 1423هـ - 2003م.
دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي (ت1057هـ)، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، ط4 دار المعرفة – بيروت/ لبنان 1425هـ - 2004م.
الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، تح. أبي إسحاق الحويني الأثري، ط1 دار ابن عفان - المملكة العربية السعودية 1416هـ - 1996م.
ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (شرح سنن النسائي): محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي، ط دار المعراج الدولية للنشر، ودار آل بروم للنشر والتوزيع.
سنن الترمذي (الجامع الصحيح): أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت279هـ)، تح. أحمد محمد شاكر وآخرين، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت.
سنن الدَّارمي: لأبي محمد عبد الله بن عبدالرحمن الدارمي (ت255هـ)، تح. فواز زمرلي، وخالد السبع والأحاديث مذيلة بأحكام حسين سليم أسد عليها، ط1 دار الكتاب العربي – بيروت 1407هـ.
سنن ابي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت275هـ)، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، ط دار الكتاب العربي – بيروت.
سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني (ت273هـ)، تح. محمد فؤاد عبد الباقي والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، ط دار الفكر – بيروت.
شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية: تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (ت702هـ)، ط6 مؤسسة الريَّان 1424هـ - 2003م.
شرح صحيح مسلم للقاضي عياض، المسمَّى (إكمال المُعْلِم بفوائد مُسْلِم): لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي (ت544هـ)، تح.د. يحْيَى إسماعيل، ط1دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – مصر 1419هـ - 1998م.
شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن): شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت743هـ)، تح.د. عبد الحميد هنداوي، ط1 مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض) 1417هـ - 1997م.

شرح العقيدة الطحاوية: صدر الدين محمد بن علاء الدين ابن أبي العز الأذرعي (ت792هـ) تح. أحمد شاكر، ط1 وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية 1418هـ.
شرح النَّووي على صحيح مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج): أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (ت676هـ)، ط2 دار إحياء التراث العربي - بيروت 1392هـ.
الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت393هـ)، تح. أحمد عبد الغفور عطار ط4 دار العلم للملايين - بيروت 1407 هـ - 1987م.
صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر): للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ)، تح. د. مصطفى ديب البغا، ط3 دار ابن كثير - بيروت 1407هـ - 1987م.
صحيح مسلم: للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النَّيسابوري (ت261هـ)، تح. محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت.
عمدة القاري شرح صحيح البخاري: لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (ت855هـ)، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت.
فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني (ت852هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار المعرفة – بيروت 1379ه.
فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب رحمهما الله: عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، ط1 دار ابن القيم - الدمَّام / المملكة العربية السعودية 1424هـ - 2003م.
فتح المنان شرح وتحقيق كتاب الدارمي: لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن المسمَّى بـ(المسند الجامع): لأبي عاصم، نبيل بن هاشم بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الغمري، ط1 دار البشائر الإسلامية - المكتبة المكية 1419هـ - 1999م.
الفردوس بمأثور الخطاب: لأبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرو يه بن فناخسرو، الديلميّ الهمذاني (ت509هـ)، تح. السعيد بن بسيوني زغلول، ط1 دار الكتب العلمية – بيروت 1406هـ - 1986م.
الفرق بين النصيحة والتعيير: لزين الدِّين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت795هـ)، علق عليه وخرج أحاديثه: علي حسن علي عبد الحميد، ط2 دار عمَّار – عمَّان / الأردن 1409هـ - 1988م.
فقه النَّصيحة: محمد أبو صعيليك، وهو منشور في مجلة الحكمة، العدد(10)- بوساطة المكتبة الشاملة آليَّاً.
الفقيه والمتفقه: لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت، المعروف بالخطيب البغدادي (ت463هـ)، تح. عادل بن يوسف العزازي، ط دار ابن الجوزي – المملكة العربية السعودية 1417هـ.
الفوائد: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن القيم الجوزية (ت751هـ)، ط2 دار الكتب العلمية - بيروت 1393هـ - 1973م.
فيض القدير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي القاهري (ت1031هـ)، ط1 دار الكتب العلمية بيروت - لبنان: 1415هـ - 1994م.
الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: لشمس الدِّين محمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرماني(ت786هـ)، ط2دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان 1401هـ - 1981م.
كوثر المعاني الدَّراري في كشف خبايا صحيح البخاري: محمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي (ت1354هـ)، ط1 مؤسسة الرسالة - بيروت1415هـ - 1995م.
لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن): لأبي الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم، المعروف بالخازن (ت741هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، ط1 دار الكتب العلمية – بيروت 1415ه.
لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت711هـ)، ط1 دار صادر – بيروت.
المجالسة وجواهر العلم: لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري (ت333هـ)، تح. أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط دار ابن حزم – بيروت 1419هـ.
مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي (ت774هـ)، تح. سيد إبراهيم، ط1 دار الحديث - القاهرة / مصر 1422هـ - 2001م.

المخصّص: لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده (ت458هـ)، تح. خليل إبراهيم جفال، ط1 دار إحياء التراث العربي - بيروت 1417هـ 1996م.
مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: لعلي بن (سلطان) محمد، نور الدين الملا الهروي القاري (ت1014هـ)، ط1دار الفكر - بيروت / لبنان 1422هـ - 2002م.
المستدرك على الصحيحين: للحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري (ت405هـ)، بإشراف: د. يوسف المرعشلي، ط دار المعرفة – بيروت.
مسند أحمد بن حنبل: للإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت241هـ)، ط مؤسسة قرطبة - القاهرة: رقم الحديث (22455).
معجم الصحابة: أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي (ت317هـ)، تح. محمد الأمين ابن محمد الجكني، ط مكتبة دار البيان – الكويت.
المعجم الكبير: لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الطبراني (ت360هـ)، تح. حمدي بن عبد المجيد، ط2 مكتبة ابن تيمية – القاهر.
معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ)، تح. عبد السلام محمد هارون ط دار الفكر 1399هـ - 1979م.
معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بـ (مقدِّمة ابن الصَّلاح): لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصَّلاح (ت643هـ)، تح. نور الدين عتر، ط دار الفكر- سوريا، دار الفكر المعاصر – بيروت 1406هـ - 1986م.
موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلله: جمع وترتيب: السيد أبو المعاطي النوري - أحمد عبد الرزاق عيد -، محمود محمد خليل، ط1 عالم الكتب 1417هـ - 1997م.
ميزان الاعتدال في نقد الرجال: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ) تح. علي محمد البجاوي، ط دار المعرفة - بيروت.

The Sharia Method in the Scholar's Advice In the Light of the Qura'an and Sunna

Ahmed A. Alkubesi

College of Sharia and Islamic Studies - University of Sharjah

Sharjah - UAE

Abstract

This paper aims to clarify the legitimate approach to the advice of scholars and highlights the truth according to the Quran and Sunnah and in accordance with the the sayings of pious scholars; it also alerts the reader to the consequences of showing irreverence to scholars and ridiculing them and finally to degrade their dignity. It is with such an attitude that one can refute the arguments of fanatics and pretenders and debunk them.